مجلة جامعة البعث

سلسلة العلوم التاريخية و الاجتماعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 44 . العدد 6

1443 هـ - 2022 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. ناصر سعد الدين	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث , وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر, وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة, اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.
2. دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .
3. دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .
4. دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
تطور الفكر الإنساني لمفهوم الإله	محمد محمد د. محمد صالح الآلوسي	38-11
النظام الضريبي في العراق في عصر الدولة البويهية وأثره على المجتمع (334-447هـ / 944-1055م)	أ.د سميحة أبو الفضل د. ملاذ غالي	64-39
معطيات حقلية جديدة حول البركنة خلال دور الجوراسي في جنوب الجبال الساحلية السورية	الدكتور سعيد إبراهيم	92-65

تطور الفكر الإنساني لمفهوم الإله

طالب الدكتوراه: محمد أحمد محمد

كلية الآداب والعلوم الانسانية – جامعة حلب

اشراف الدكتور: محمد صالح الآلوسي

العام الدراسي: 2021– 2022م

الملخص :

يجب عدم الخلط بين الاعتقاد بالألوهية على مستوى الفكر وفي عالم الذهن، وبين الحاجة إلى الألوهية على مستوى النفس وفي عالم الواقع، ذلك لأن هذا الخلط سيورطنا في مشكلة عدم التوصل لحقيقة المسألة، إن فكرة الألوهية التي لازمت الذهن الإنساني من جراء قانون السببية لا تستطيع البتة تحمل أعباء سوق الإنسانية لعبادة الإله، ورسم الطقوس الدينية له.

– إذاً لا بد من البحث عن سبب آخر يقف وراء اندفاع البشرية نحو التوجه إليه، ذلك لأن أي فكرة بما أنها فكرة تعجز عن إيجاد الحاجة في المعتقد بها لكونه قد اعتقد بها، فإن الاعتقاد بوجود ماء مثلاً لا يستدعي بوجه شربه إن لم يقف وراء ذلك عامل التعطش إليه، وهذا التعطش لا يتولد من الاعتقاد بوجود ماء فها هنا مسألتان مختلفتان بتمامهما، إحداهما غير الأخرى.

– الأولى: تتعلق بوجود (واجب للوجود)، والعلة النهائية لسائر العلل والأسباب.

– الثانية: تتعلق بالتوجه إليه لا مجرد الاعتقاد به.

كلمات مفتاحية: الألوهية– الفكر

Summary

The belief in the deity should not be confused with the level of thought and with the realm of mind, and between the need for divinity at the level of the soul and in the real world because this confusion will put us in the problem of not reaching the truth of the issue, the idea of divinity which accompanies the human mind as a result of the law of causation cannot bear the burdens of humanity is tendency to worship god and ordain religious rituals for him .

Therefore it is necessary to search for another reason that stands behind humanity is rush to go to it, because any idea since it is unable to find the need in believing in it because he believed in it, belief in the existence of water for example does not necessitate drinking it if there is no factor behind that thirst does not arise from believing in the existence of something , the first relates to the existence of a duty to exist and the final cause of all other causes .

The second is about turning to him not just believing in him .

Key Words: divinity, thought.

المقدمة :

منذ أن وعى الإنسان وجوده في هذا الكون وهو في بحث دؤوب عن معرفة أسراره، فالذهن الإنساني لم تمر عليه فترة توقف فيها عن الكشف عن سبل تعمير هذه الأرض التي يعيش عليها وتأمين حاجاته الأساسية فيها من مسكن ومأكل ومشرب، بل تعدى ذلك إلى جوانب واسعة أخرى لعلها لا تتعلق تعلقاً مباشراً بحاجاته المعيشية ولكن لها الصلة الوثيقة بفضوله العلمي وتطلعاته المعرفية وقد قادته غريزة العلم إلى التساؤل عن خالقه الذي أوجده وهنا بدأ في البحث عن معرفة الأجوبة وكيف السبيل إليها .

هدف البحث :

يسعى هذا البحث إلى تقديم تصور أولي عن مسألة مهمة وهي (الألوهية بين الفكرة والحاجة) حيث يعرض الآراء التي توصلت إليها الحضارات الفلسفية البشرية في مختلف مراحلها ابتداءً بفلاسفة العصر الإغريقي ومروراً بآراء الفلاسفة الأوربيين وانتهاءً بأبحاث الفلاسفة المسلمين .

أولاً: نتائج الأبحاث الاجتماعية عن منشأ فكرة الألوهية.

أ- أبحاث دولباخ[1].

–توصل للنتيجة التالية:

– (إن الجهل والخوف هما اللذان ابتدعا الإله، وإن المخيلة والحماس والخداع هي التي جملته أو شوهته، وإن الضعف هو الذي يعبده، وإن العادة هي التي تحترمه، وإن سرعة التصديق هي التي تغذيه وتنميه وإن الطغيان هو الذي يدعمه، وذلك لاستغلال عماء البشر).

– إن الجهل إذاً هو المخترع لفكرة الإله، لأن الإنسان في ظرفه يريد أن يعلل ما لا يعلم، فإذا علم لم يعد لوجود الإله ما يبرره.

– والخوف كذلك ظل دافعا" عتيداً للتوجه للإله، فبزواله يزول التوجه هذا، هذا اللون من التفسير في الحقيقة قد خلط بين ورقتين إحداهما تتعلق بفكرة الألوهية، والأخرى تحتوي

فكرة مسألة التوجه إليها، فإذا تأملنا في باطن المسألة الأولى نجدها تتكلم عن موجود لا سبب لوجوده، وإذا نظرنا لتطبيقها في المسألة الأخرى، نلمس توجهاً عارماً قد اكتسح البشرية طوال التاريخ، يدفعها نحو الألوهية والذي تمخضت عنه أنواع من الآلهة، جلّها لا يتلاءم مع طبيعة فكرة الألوهية، بل يخالفها كل الاختلاف، ففي الوقت الذي تنص الورقة الأولى على وجود علة العلل، تذكر الثانية توجهاً نحو ما لا مجال للتردد في معلوليته ونقصه المتمثل في الصور المختلفة التي رسمتها البشرية للإله، وهذا الخلط سنجده في الأبحاث الأخرى التي سنذكرها الآن، لنرى كيف تجنبت الفلسفة الإسلامية الوقوع في شباكها، أما ضيق أفق الفكرة المادية فلا يحتاج إلى كثير بيان إذ ظلت الإنسانية على سعة علومها وعمق سيطرتها على جوانب الطبيعة كما هو الحال اليوم، متمسكة بفكرة الألوهية متشبثة بضرورة التوجه إلى إله، الأمر الذي يعرض أصول نتائج دولباخ للزلزلة[2]

ب-أبحاث ماكس مولر[3].

-تولدت فكرة منشأ الألوهية وتطورت حتى أصبحت كما هي اليوم بمرور أحقاب ثلاثة عليها:

-الحقبة الأولى، يسميها الحقبة الطبيعية: [1]

- حيث خوف الإنسان وضعفه في مواجهة الطبيعة جعله يخترع طقوساً وعبادات زعم أنها تروض الطبيعية.

1-1 دولباخ: (1723- 1789م)، وهو فيلسوف مادي من القرن الثامن عشر، رفض كل الأدلة على وجود الله، بناء" على أن الطبيعة في الكون كله في نظره كل واحد بذاته لا يحتاج إلى غيره في تفسيره، ولهذا أنكر الإله، حتى أنه كان يتباهى بأنه العدو الشخصي للإله.

2- اللواتي، محمد بن رضا: المعرفة والنفس والألوهية في الفلسفة الإسلامية والمدارس الفلسفية الأخرى، دار المعارف، بيروت، 2016م، ص 176

3- ماكس مولر: (1823- 1900م)، مستشرق ألماني وعالم لغوي، ألماني المولد، صنف الأساطير وفق الغرض الذي هدفت إليه، ودرس الأديان دراسة مقارنة، وأسهم في الدراسة المقارنة بمجالات الدين و اللغة وعلم الأساطير.

– الحقبة الثانية:

– وقت تأصل العلائق الإنسانية، نتجت ظاهرة تكريم الأبطال والأقوياء والتعبد للقدماء، وكانت نتيجتها الطبيعية أن ينال هؤلاء الأبطال وأولئك القدماء في الطقوس الدينية قسطاً وفيراً.

–الحقبة الثالثة:

– ارتفع الإنسان بمعبوداته لمرحلة فوق الطبيعة والتي سماها بالألوهية، إلا أن مولر لم يوضح في أبحاثه لماذا نال الأموات القدماء قسطاً من التعبد مع البشر، مع أنه لا مبرر لذلك إطلاقاً وليس في الخوف والضعف ما يبرره[1].

ت– أبحاث فرويد[2] :

–إن منشأ فكرة الألوهية حاجة الإنسان الدائمة للرعاية، فهذا الإنسان الذي يقضي أطول فترة طفولته بين سائر الكائنات تتأصل فيه هذه الحاجة للأبوة والأمومة، لأنها تمثل رغبته في طلب الرعاية والتربية، أما فكرة وجود عالم آخر بعد الموت والجزاء المنتظر للبشرية جمعاء، فهي وليدة الإدراك الغامض للإنسان عن نفسه المسبب له أوهاماً تتراءى له ظلالها في الخارج.

– وعندما سئل فرويد عن جماعة من البشر يؤمنون بفكرة الألوهية ويقّرون بوجود إله، دون أن يتقيدوا بأية طقوس وعبادات تجاهه، ماذا يكون الدافع لاعتقادهم به؟، إذاً الحاجة للرعاية لا تستجاب بمجرد فكرة وجود إله دونما عبادة له، فإنه لم يجد لذلك جواباً[3].

1[2]– اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 177.

2– سيغموند فرويد: (1856– 1939م)، طبيب نمساوي اختص بدراسة الطب العصبي، يُعد مؤسس علم التحليل النفسي، أسس مدرسة التحليل النفسي، وعلم النفس الحديث.

3– اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 178.

ث-أبحاث مدرسة الوضعانية[4].

-وهي أشهر المدارس الاجتماعية التي فسرت منشأ فكرة الألوهية.

1- أبحاث كونت: فقد اعتقد (كونت)[5] أن البشرية مرّت بمراحل ثلاثة، أولها: المرحلة اللاهوتية: حيث كان الإنسان فيها يبحث عن الأسباب وعن علل الأشياء، ولما كان يفتقد للطرق العلمية للإجابة عن أسئلته لجأ إلى فكرة الإله، فكان يفسر الأشياء والظواهر بكائنات وقوى غيبية، وانتهت هذه المرحلة لتتطور فكرة الآلهة المتعددة إلى الإله الواحد، ويسميها كذلك مرحلة الطفولة، والمرحلة (الميتافيزيقية) التي تعتمد على الإدراك المجرد، والمرحلة (الوضعية) وفيها يجب أن نتخلى عن البحث عن علة الأشياء، وأن نعتمد فحسب على أسلوبين للمعرفة هما: الملاحظة والتجربة، مع ذلك فلن نعطي للنتائج إلا قيمة نسبية، وأخيراً ليكن بحثنا فقط عمّا يساهم في رقي البشرية.

- حقاً من الغرابة بمكان أن يدعونا الرجل للكف عن البحث عن علل الأشياء، مع أن العلوم البشرية كلها مدينة لهذا المنحى الطبيعي في الإنسان، وهو تقصي علل الأشياء، ومع ذلك فإنهم يعدونه من كبار علماء ومؤسسي علم الاجتماع الحديث![1]

2- أبحاث دوركيم: [2]

-اعتمد فريق دوركيم بعد بحث عن منشأ فكرة الألوهية في الذهن البشري سبباً واحداً، وهو أن هذه الفكرة ليست متأصلة في البشر، وإنما قد بذلت الإنسانية مجهوداً لتشخيصها، فهي تمثل في الحقيقة نفس الجماعة البشرية في مرحلة قوتها وسلطانها وجبروتها، ذلك

---

[3] 4-المدرسة الوضعانية: وهي أول المدارس الفلسفية في العصر الحديث، التي اتخذت موقفا" نقديا" من فلسفة القرن التاسع عشر، التي حلقت في سماء الفكر المجرد فبعدت عن الواقع المحسوس، ومن ثم جاءت هذه المدرسة ردا" عنيفا" عليهم، ويمثل هذه المدرسة ثلاثة من الفلاسفة، أوجست كونت- إميل دوركيم- ليفي بريل.

5- أوغست كونت: (1798- 1857م)، عالم اجتماع، وفيلسوف فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يُعرف به اليوم، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، ويُعد المؤسس للفلسفة الوضعية.

لأن الإنسان البدائي عندما كان يحضر حفلات قومه، كانت تأخذه حالات من النشوة واللذة يلازمها شعور بأنه أرفع كثيراً مما هو عليه، إلى أن ظهور شعوره هذا ليبلغ مبلغ الإله.

– يُعد هذا التفسير من النظريات المهملة أو المنسية لشدة مخالفتها للطبيعة الإنسانية[3].

ج– أبحاث ديكارت[4]

–تصور ديكارت أن منشأ فكرة الألوهية من الله نفسه، فالإنسان ذلك الموجود الناقص كيف له التفكير في الكامل؟ بل كيف له صياغة فكرة عن وجود موجود ما جامع لسائر الكمالات؟

– إن النقص لا ينتج الكمال، والناقص لا يتوصل لإبداع الكامل، فذلك عمل لا يتسنى إلا للكامل نفسه، فإذاً فكرة الألوهية من أعمال الإله الكامل[5].

---

[4]1– اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 178– 179.

2– إميل دوركيم: (1858– 1927م)، فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، درس التلمود والعهد القديم، كما درس العبرية والتاريخ، ثم هجر اللغويات كي يدرس تاريخ الأديان.

3– اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 179.

4– رينيه ديكارت: فيلسوف ورياضي وفيزيائي فرنسي، يُلقب بـ (أبو الفلسفة الحديثة)، له العديد من المؤلفات في الفلسفة والرياضيات، اخترع نظاما" رياضيا" سمي باسمه (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ (الهندسة التحليلية)، وهو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن السابع عشر، توفي سنة 1650م.

5– اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 180.

ثانياً: تاريخ البرهنة على الألوهية:(وجود الله ووحدانيته).

أ- **العصرالإغريقي:**

–دلائل أفلاطون[1] على وجود الله:

–اعتمد أفلاطون على ظاهرة الحدوث المتعلقة بالأشياء ليثبت ولادتها، وبالتالي فلا بد من فرض صانع لها، وهو دليل الحدوث، ويُعرف كذلك بدليل ضرورة وجود العلة الفاعلة، فالنظر الدقيق في أحوال الطبيعة يدل على حركتها كما يدل على طلبها التكامل عبر هذه الحركة، فالأشياء في تبدل وتحول مستمرين، وهذا إن دل على أمر فإنما يدل على حدوثهما، وإلا لامتنعت على التحول والتبدل فإذاً حدوثها ثابت وفرض محدثها ثابت كذلك لامتناع حدوث الشيء بلا علة[2].

– دلائل أرسطو[3]:

– لأرسطو أدلة عدة على وجود الله، والذي أسماه بالمحرك الأول لسائر الحركات، منها انطلق لاثبات وجوده، فالأشياء في حركة مستمرة الأمر الذي لا يستدعي تكلف دليل فوجداننا اليومي يثبت الحركة، وبما أن المتحرك لا يمكنه أن يكون محرك نفسه لامتناع الشيء أن يكون علة نفسه، إذاً لا بد من القول بوجود محرك لا محرك له، لامتناع تعدد العلل إلى ما لا نهاية. .[5]

---

[5] 1- أفلاطون: وهو أرستوكليس بن أرستون، (427– 347ق.م) ، وهو فيلسوف يوناني كلاسيكي، يُعد مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، وضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم، وله العديد من المؤلفات.

2– اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 196.

3– أرسطو: (384– 322ق.م) ، فيلسوف يوناني، وهو تلميذ أفلاطون، وواحد من أهم المفكرين، تغطي كتاباته مجالات عدة، منها: الفيزياء– الشعر– المسرح– الموسيقى– المنطق– البلاغة– اللغويات– السياسة– علم الأحياء– علم الحيوان، وهو واحد من أهم مؤسسي الفلسفة الغربية.

4- اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 197.

– أثبت أرسطو وحدانية الله عبر النظر إلى نظام الكون، فدقته ووحدته وحكومته على الكون برمته دليل على أن موجوده واحد لا شريك له، و إلا لشاهدنا نظاماً آخر يحكم جانباً من الكون، ليكون دليلاً على وجود منظم آخر، فعندما لا نجد ذلك يثبت زوال الشرك.

– كما أثبت أرسطو بساطة الذات الإلهية، ذلك لأن الله إن لم يكن بسيطاً لزواج المادة وسرى في التركب، و لبطل استغناه وكماله.

– ويضيف أرسطو إلى الله صفة الخيرية المحضة، فهو على أتم كمال وكما يجب أن يكون، وأخيراً فهو العلة الغائية لسائر الخلق، إذ الموجودات بأسرها تتجه إليه عبر حركتها وتطلبه[4].

- دلائل أفلوطين: [1]

– يقول أفلوطين: وجود الوحدة قبل الكثرة، لأن الكثرة تصر على هذه الوحدة، من وحدة إلى أخرى تصل إلى الواحد المطلق الذي ليس مرتهناً بكائن أخر– ثمة دليل أخر يسوقه أفلوطين للغرض نفسه، وهو دليل الحضور الإلهي، في عمق الكيان الإنساني، مما يسمح للمشاهدة الحضورية الباطنية له، والتي يقول عنها (كأن نمتلك الشعور بحضوره بدون أن تكون لنا معرفة بهذا الحضور)[2].

ب–عند الفلاسفة الأوربيين :

1–توما الأكويني:[3]

–عرض توما الأكويني عدة أدلة تثبت وجود الله، منها برهان الحركة لواضعه أرسطو، وبرهان العلة الفاعلة الذي يمنع تصاعد العلل إلى ما لا نهاية له، وهو كذلك لأرسطو، وبرهان تأرجح الممكن بين الوجود والعدم واحتياجه إلى العلة المفيضة للوجود، وهو برهان الفارابي والشيخ الرئيس، ومنها البرهان الناظر لتفاوت درجات وجود الأشياء، فالخير والنبل مثلاً وسائر الصفات الأخرى نجدها تتواجد عند الناس بدرجات مختلفة، فلابد إذن من فرض موجود يتمتع بها كاملة وهو الله.[4]

6

2- **أنسلم:**[5]

- صاحب الدليل المشهور (الحجة الوجودية).

-خلاصة الدليل: إن في أذهاننا فكرة عن وجود الكائن الأتم كمالاً، وحتى أولئك الذين ينكرونه فهم يتصورونه أولاً، فالذهن إذاً مجال خصب لتواجد وبقاء هذه الفكرة عن وجود الموجود الكامل، وهذه الفكرة هي نفسها تصبح دليلاً على وجود الموجود الكامل، ذلك أنه إذاً لم يكن لهذه الفكرة واقع مطابق لها في الخارج، لما كانت فكرة عن الموجود الكامل، إذ في الذهن كذلك فكرة عن الموجود الناقص، ولكنه ذو واقع خارجي فيكون أكمل مما فرضناه موجوداً كاملاً لا واقع له في الخارج.

- وهذا خلف ! إذاً يجب وجود واقع الفكرة في العيان.[6]

- ديكارت:

1- أفلوطين: (205- 270م)، وهو فيلسوف يوناني، يُعد أبرز ممثلي الأفلاطونية المحدثة.

2- اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 198.

3- توما الأكويني: (1225- 1274م)، فيلسوف ولاهوتي، الأكويني نسبته إلى محل اقامته في أكوين، ويُعد أحد الشخصيات المؤثرة في مذهب اللاهوت الطبيعي، وتأثيره واسع على الفلسفة الغربية.

4- اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 200.

[7] 5- أنسلم: (1033- 1109م)، لاهوتي وفيلسوف، وهو رئيس أساقفة كنتربري، من فلاسفة أوربة في القرن الحادي عشر، ولد في شمال إيطالية، وكان له تأثير بالغ على اللاهوت الغربي.

6- اللواتي، محمد بن رضا: المرجع السابق، ص 200.

1- اللواتي، محمد بن رضا: المرجع نفسه ، ص 201.

2- اللواتي، محمد بن رضا: المرجع نفسه، ص 203.

3- اللواتي، محمد بن رضا: المرجع نفسه، ص 203.

– حذا حذو أنسلم، فقال إن الفكرة عن وجود الله هي الدليل على وجوده فعلاً[1].

ت–براهين الفلسفة الإسلامية:

1 –الوجوب والإمكان:

– عندما نقول واجب الوجود فإننا نعني به ذلك اللون من الوجود الذي لا يمكن فرض عدمه، وإلا فإن محالاً يلزم منه، ذلك لأنه لا يتفق مع حقيقة الوجوب وقد فرضناه كذلك، إن ابن سينا يفرض أولاً وجود موجود على نحو الوجوب، وبعد ذلك سيبحث عن أدلة إثباته.

2– برهان الصديقين (الإمكان الماهوي):

–إنا لا نشك في أن الواقع الخارجي يعج بالموجودات الكثيرة، والتي على كثرتها لا يخلو أمرها من حالتين، فإما أن تكون واجبة الوجود وعندئذ يثبت لدينا أن هنالك موجود ويمتنع عدمه، وإما أن تكون ممكنة الوجود وعندئذ لا بد من فرض علة غيرها أفاضت عليها الوجود ومنحتها إياها.

– والعلة تلك إما أن تكون واجبة فيثبت الموجود غير القابل للعدم، وإما أن يكون حالها خلاف الغرض، وعندئذ لا بد من وجود علة وراءها هي المانحة للوجود على نحو يكون ذاتياً فيها، وإلا لوقعنا في مأزق تسلسل العلل إلى ما لا نهاية، الأمر الذي يبطله العقل ويأباه [2].

– والخلاصة: الموجود إما أن يكون واجباً وهو المطلوب، وإما أن يكون ممكناً فلا بد من وجود علة تخرجه من الإمكان للوجود، والعلة هذه إما أن تكون واجبة وهو المطلوب، أو أن تكون ممكناً آخر فلا بد من انتهاء سلسلة العلل إلى الواجب دفعاً للدور والتسلسل.

–إن الحاجة إلى العلة راجعة إلى (الإمكان الماهوي) فالأشياء لأنها ممكنة الذوات تترجح بين الوجود والعدم، فطبيعي أن تمدّ يد الحاجة إلى العلة، فإذاً أصابع الاتهام تتوجه إلى إمكانها الذاتي، أما العلة الأولى فلكونها قد طوت هذه الإمكانية لتمتعها بحصانة الوجود، إذاً لم تعد بحاجة إلى علة من ورائها.

– إن نظرية الإمكان الماهوي بحثت عن سرّ الحاجة إلى العلة خارج الشيء نفسه، وبالتحديد في مرحلة ما قبل وجودها، فلما عدت وجودها دليلاً على إمكانها وعدّ تمانعها عن نيل حصتها من الوجود، شخصت الإمكان الذي هو مرحلة ما قبل وجود الشيء، مع أن حاجة الشيء إلى علتها يجب أن ترجع إلى عمق هوية ذلك الشيء لا إلى مرحلة سابقة لوجوده[3]

عند ابن سينا:[1]

1–كمال وحدانية واجب الوجود، وأن كل متلازمين في الوجود متكافئين فيه فلهما علة خارجة عنهما.

–ولا يجوز أن يكون اثنان يحدث منهما واجب وجود واحد، ولا أن يكون في واجب الوجود كثرة بوجه من الوجود .

–ولا يجوز أن يكون شيئان اثنان ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، وكل واحد منهما واجب الوجود بغيره، ولا يجوز أن يكون كل واحد منهما واجب الوجود بالآخر، حتى يكون (أ) واجب الوجود بـ (ب) لا بذاته، و(ب) واجب الوجود بـ (أ) لا بذاته، و جملتهما واجب وجود واحد.

–وذلك لأن عدهما ذاتين غير عدهما متضايفين. ولكل واحد منهما وجوب وجود لا بذاته، فكل واحد منهما ممكن الوجود بذاته. ولكل ممكن الوجود بذاته علّة في وجوده أقدم منه، لأن كل علّة أقدم في وجود الذات من المعلول، وإن لم يكن في الزمان ، فلكل واحد منهما في الذات شيء آخر يقوم به أقدم من ذاته.

–وليس ذات أحدهما أقدم من ذات الآخر، على ما وصفنا، فلهما إذاً علل خارجة عنهما أقدم منهما. فليس إذاً وجوب وجود كل واحد منهما مستفاداً من الآخر، بل من العلة الخارجة التي أوقعت العلاقة بينهما.

8

1- ابن سينا: (370هـ/ 980م– 428هـ/ 1037م)، طبيب وفيلسوف، له عدة مؤلفات في الطب و الفقه والأخلاق و اللغة والفلك، أهمها: الشفاء– النجاة– القانون.

-وأيضاً فإن ما يجب بغيره، فوجوده بالذات متأخر عن وجود ذلك الغير ومتوقف عليه. ثم من المستحيل أن تتوقف ذات في أن توجد على ذات توجد بها، فكأنها تتوقف في الوجود على وجود نفسها.

-وبالجملة فإذا كان ذلك الغير يجب به، كان هذا أقدم مما هو أقدم منه، ومتوقف على ما هو متوقف عليه، فوجودهما محال[2].

2-في أن واجب الوجود بذاته خير محض.

-وكل واجب الوجود بذاته فإنه خير محض وكمال محض، والخير بالجملة هو ما يتشوّقه كل شيء ويتم به وجوده. والشر لا ذات له، بل هو إما عدم جوهر أو عدم صلاح حال الجوهر.

فالوجود خيرية، وكمال الوجود خيرية الوجود، والوجود الذي لا يقارنه عدم، لا عدم جوهر، ولا عدم شيء للجوهر، بل هو دائم بالفعل، فهو خير محض. والممكن الموجود بذاته ليس خيراً محضاً، لأن ذاته بذاته لا يجب له الوجود بذاته.

-فذاته تحتمل العدم، وما احتمل العدم بوجه ما، فليس من جميع جهاته بريئاً من الشرو النقص.

-فإذاً ليس الخير المحض إلا الواجب الوجود بذاته. وقد يقال أيضاً خير لما كان نافعاً ومفيداً لكمالات الأشياء. وسنبين أن الواجب الوجود يجب أن يكون لذاته مفيداً لكل وجود، ولكل كمال وجود، فهو من هذه الجهة خير أيضاً، لا يدخله نقص ولا شر[1].

1- في أن واجب الوجود حق بكل معاني الحقّة:

-وكل واجب الوجود بذاته فهو حق محض، لأن حقيقة كل شيء خصوصية وجوده الذي يثبت له، فلا حق إذاً أحق من الواجب الوجود، وقد يقال أيضاً حق لما يكون الاعتقاد

2-ابن سينا، الحسين أبي علي: النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ص 263.

بوجوده صادقاً، فلا حق أحق بهذه الحقيقة مما يكون الاعتقاد بوجوده صادقاً، ومع صدقه دائماً، ومع ذلك دوامُه لذاته لا لغيره[2].

2- في إثبات واجب الوجود.

-لا شكّ أن هنا وجوداً، وكل وجود فإما واجب وإما ممكن، فإن كان واجباً فقد صحّ وجود الواجب، وهو المطلوب، وإن كان ممكناً فإنا نوضح أن الممكن ينتهي وجوده إلى واجب الوجود، وقبل ذلك فإنا نقدم تقدمات، فمن ذلك أنه لا يمكن أن يكون في زمان واحد لكل ممكن الذات علل ممكنة الذات بلا نهاية، وذلك لأن جميعها إما أن يكون موجوداً معاً، فإن ما لم يكن موجوداً معاً غير المتناهي في زمان واحد، ولكن واحد قبل الآخر، فلنؤخر الكلام في هذا، و(ب) أن يكون موجودا معاً، ولا واجب وجود فيه، فلا يخلو إما أن تكون الجملة بما هي تلك الجملة، سواء كانت متناهية أو غير متناهية، واجبة الوجود بذاتها أو ممكنة الوجود.

-فإن كانت واجبة الوجود بذاتها، وكل واحد منها ممكن، يكون الواجب الوجود متقوّماً بممكنات الوجود، هذا خلف، وإن كانت ممكنة الوجود بذاتها، فالجملة محتاجة في الوجود إلى مفيد الوجود، فإما أن يكون خارجاً عنها أو داخلا فيها، فإن كان داخلاً فيها، فإما أن يكون واحداً منها واجب الوجود، فيكون هو علّة الوجود الجملة، وعلّة الجملة علّة أولاً لوجود أجزائها، ومنها هو، فهو علّة لوجود نفسه، وهذا مع استحالته، إن صحَّ فهو من وجه ما نفس المطلوب، فإن كل شيء يكون كافياً في أن يوجد ذاته، فهو
واجب الوجود، وكان ليس واجب الوجود، هذا خلف، فبقي أن يكون خارجاً عنها، ولا يمكن أن يكون علّة ممكنة، فإن جمعنا كل علّة ممكنة الوجود في هذه الجملة، فهي إذاً خارجة عنها وواجبة الوجود بذاتها، فقد انتهت الممكنات إلى علّة واجبة الوجود، فليس لكل ممكن علّة ممكنة بلا نهاية[3].

---

10 1- ابن سينا، الحسين أبي علي: المصدر نفسه، ص 265.

2- ابن سينا، الحسين أبي علي: المصدر نفسه، ص 266.

3- ابن سينا، الحسين أبي علي: المصدر نفسه، ص271.

– أيضاً قدمت الفلسفة الإسلامية عدة دلائل على وجود الله، وهي:1– الوجود حقيقة أصلية. 2– أصالة الوجود وعينيته وتشككه. 3– وقوع الاشتراك في عين الامتياز. 4–حقيقة رابطة العلية. 5– الحاجة إلى العلة.

ثالثاً: الإله المعبود في الديانات الوثنية والتوحيدية والعلمانية:

أ– الإله المعبود في الديانة الوثنية:

–الوثنية: وهي معتقدات وممارسات تتفق على عبادة الطبيعة، وقد تتخذ الوثنية عدة أشكال، منها وحدة الوجود (الإيمان بأن الطبيعة المادية هي الإله)، تعدد الآلهة (الإيمان بأكثر من إله)، عبادة الأصنام (الإيمان بأن الأشكال المادية في العالم هي الطاقة الإلهية وعبادة الأصنام وتقديسها).

1–ديانة عصور ما قبل التاريخ:

أ–عقائد البالوليت الأسفل (عبادة النار): [حوالي 1,400,000– 100,000ق م]

–إن صناعة الأدوات الحجرية، واكتشاف النار واستعمالها يعدان من أهم إنجازات العصر الحجري القديم على المستويين المادي و الروحي، وقد انعكسا على تطور وعي الإنسان وامكاناته الروحية.

– لقد عبد إنسان البالوليت الأسفل النار وقدسها، ويبدو أن السبب وراء ذلك الدور الكبير للنار في تطور حياة الإنسان، فقد كانت النار تحمي كهوف الإنسان من الكواسر والبرد القاسي، وكانوا يستخدمونها لشي اللحم، كما جعلت النار كثيراً من المواد التي لم تكن تؤكل قبل ذلك قابلة للأكل بعد معاملتها بالنار، لقد جعلت النار الإنسان أكثر قوة ولعبت دوراً مهماً في تطوره اللاحق[1].

ب: البالوليت الأوسط (تقديس الحيوان) : [حوالي 100,000 – 40,000 ق م]

–أشار الباحثون إلى عبادات منظمة لإنسان(النياندرتال)[2] للحيوانات، فقد حفظ في مغاور وكهوف الألب عدد من جماجم دببة مرتبة بطريقة خاصة، احيط بعضها بحجارات صغيرة وبعضها الآخر بألواح حجرية وجماجم محفوظة مع عظام الساعد في جدار الكهف.

– ولا يقتصر الأمر على الدببة، فهناك الجاموس والثور وغيرها، وهناك آثار تدل على عبادة هذه الحيوانات التي وجدّ فيها إنسان النياندرتال الأوسط قوة هائلة تبعث على الرهبة، وقد عدّ بعض الباحثين أن فكرة رسوم الحيوانات داخل المغاور والكهوف مرحلة من مراحل التوصل إلى التدجين حيث عرف الإنسان مواطن ضعف الحيوانات وتمكن من خلال معرفته لهذه النقاط أن يسيطر على الحيوانات ويدجنها[3].

ت: عقائد البالوليت الأعلى (دين الإنسان العاقل– اللوحات والدمى): [حوالي 40,000– 35,000 ق م]

–لقد شهد عصر البالوليت الأعلى ظهور نوعين من الفن هما الفن التشيكيلي (الرسم) المُعبر عنه بجداريات الكهوف، وفن النحت الذي تجسد في التماثيل، ولم يكن ظهور هذا الفن في هذا العصر من

أجل الفن بذاته، بل هو استمرار لتشكل الدين وظهوره في عصر البالوليت بعامة[1].

إذاً تطور مفهوم الإله لدى الإنسان ليقوم بصنع التماثيل الحجرية وعبادتها.

---

[11] 1- الماجدي، خزعل : أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997م، ص 35.

2- لقد وصف شكل إنسان النياندرتال اعتماداً على اللقى العديدة له، جمجمته عموماً طويلة ومنخفضة مع انتفاخ في منطقة الصدغ، أما عظم الحواجب بارز فوق العيون، الوجه عالي وبارز إلى الأمام، حجم الدماغ يساوي أو يزيد عنه لدى الإنسان الحالي، وهو بمعدل 1200- 1400سم3 ، وعظام الهيكل لها سطوح مفاصل عريضة وهي أغلظ من عظام الإنسان الحالي.
أور، فرنسيس: حضارات العصر الحجري القديم، مكتبة الإسكندرية، 1995م، ط1، ص 115.

3- الماجدي، خزعل: المرجع السابق، ص 40.

1- الماجدي، خزعل: المرجع نفسه، ص 43.

الخلاصة:

–تطور مفهوم الإله لدى إنسان النياندرتال، فقد بدأ بعبادة النار لدورها المهم في حياته، ثم انتقل في المرحلة الثانية إلى تقديس الحيوانات الضخمة التي وجد فيها قوة هائلة تبعث على الرهبة، وانتقل في المرحلة الثالثة إلى صنع التماثيل الحجرية وعبادتها.

– ويمكننا أن نضع مخططاً موجزاً لمراحل البالوليت، ونوع الإنسان السائد فيه، ومنجزاته المادية والروحية.

العصر الحجري	نوع الإنسان	الأشكال المادية للمنجز	الدين	التاريخ
1-البالوليت الأسفل	المنتصب	الأدوات العظمية والحصوية	عبادة النار	حوالي 1,400,000-100,000 ق م
2-البالوليت الأوسط	النياندرتال	المدافن	تقديس الحيوانات	حوالي 100,000-40,000 ق م
3-البالوليت الأعلى	العاقل	لوحات الكهوف والدمى الانثوية	عبادة التماثيل الحجرية	حوالي 40,000-35,000 ق م

2- الديانة المصرية القديمة:

–تعددت المعبودات الوثنية في الديانة المصرية القديمة وتنوعت شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوثنية الآخرى.

– أنواع المعبودات الوثنية في الديانة المصرية القديمة:

1- عبادة الحيوان والنبات:

–إن مخلفات الحضارة المصرية القديمة من آثار وأساطير وغيرها تكشف عن كثير من الحيوانات المقدسة التي كان المصريون يقدسونها، والتي كانت في أغلب الأحيان رمزاً إلى الإله المعبود.

– لقد تنوعت هذه الحيوانات حيث عبدّ المصريون العجل– التمساح– الصقر– البقرة– الأوزة...الخ.

– كثيراً ما اختار المصري بعض الحيوانات المفزعة مثل: التمساح– الثعبان، كما اختار أحياناً بعض الحيوانات النافعة مثل: التيس– الثور– البقر، وقد اختار في بعض الأحيان أنواعاً أخري من الحيوانات شغلت تفكير الرجل الساذج بحركاتها وأعمالها، كابن آوى الذي يتسلل ليلاً من الصحراء متجهاً نحو الأماكن التي اختارها المصري لدفن موتاه.

– وكان للمصريين أيضاً معبوداتهم الخاصة من النباتات فقد قدسوا بعض أنواع النباتات كالنخيل والتين والعنب....الخ، إلى غير ذلك من المعبودات النباتية التي كانت أقل ذيوعاً وانتشاراً من المعبودات الحيوانية[1].

2– مظاهر الطبيعة الأخرى:

–هذا وقد عبدّ المصريون بعض مظاهر الطبيعة الأخرى مثل: السماء والأرض، الشمس– القمر– النجوم، والكواكب الأخرى.

– فكان الإله (جب) هو إله الأرض وصوره المصريون القدماء على هيئة المستلقي على بطنه، وقد نبتت المزروعات فوق ظهره.

– أما آلهة السماء فكانت الإلهة (نوت) وقد صورت السماء أحياناً على هيئة بقرة يمسكها إله الهواء (شو) وآلهة أخرى، وعلى بطنها النجوم وسفينة الشمس، وأحياناً أخرى على هيئة امرأة يحملها (شو).

– واختار المصريون الطائر (أبيس) أبي منجل ليرمز إلى إله القمر[2]

3– عبادة البشر:

–وكان للمصريين آلهة من بني البشر اعتقدوا حلول الإله فيهم، ويبدو أن هذا الاعتقاد ظهر بين المصريين حينما ولد الملك (مينا) القطرين وذلك في حوالي 3200 ق م الذي أعلن أنّ روح الإله حلت فيه، وتقبل الناس هذه الفكرة، واعتقدوا بألوهية الملك نتيجة لحلول

---

[13] 1– عجيبة، أحمد: دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004، ص 85 وما بعدها.

2– عجيبة، أحمد: المرجع نفسه، ص 90.

3– عجيبة، أحمد: المرجع نفسه، ص 91.

روح الإله، وقدموا له الكثير من ألوان بطولية واستطاع أن ينتصر ويوحد الأقطار المصرية تحت إمرته وتصرفه، ولذلك يمكن القول إن المصريين القدماء قبلوا الاعتقاد بأن الملك حلت فيه روح الإله ربما وهم راغبون لا مكرهون، ويدل على ذلك ما روي من أن المصريين كانوا يقدمون له جميع أنواع الخضوع والتقديس، وكانوا يعاملونه معاملة الإله[3].

–بعد استعراضنا للديانة الوثنية في مصر القديمة، سوف نتحدث عن مفهوم الإله في هذه الديانة.

– بالنسبة إلى تقديس المصريين القدماء للحيوانات والنباتات:

– إنّ تقديس المصريين للحيوانات لم يكن لذات الحيوان نفسه، ولكن لأن روح الإله حلت فيه، وهذا يدل على أنّ المصريين القدماء اختلفوا كثيراً عن بعض الأمم الأخرى التي قدست الحيوانات، في أول الأمر يجب أن نعرف أن المصريين حينّ قدسوا الحيوانات جعلوها مقصورة على فرد واحد من أفراد كل نوع من أنواع الحيوانات.

– فليس معنى تقديس المصريين للحيوانات تقديس كل أفراد هذه الحيوانات، بل المقصود هو اختيار فرد واحد من كل نوع ويكون المقصود بحلول روح الإله فيه، وقد اعتقد المصريون أيضاً أن النباتات حلت فيها روح الإله.

– أما بالنسبة إلى عبادة المصريين للبشر:

– اعتقد المصريون أيضاً بألوهية الملك نتيجة لحلول روح الإله فيه، وقدموا له كل ألوان العبادة والخضوع والتقديس.

– إذاً آمن المصريون بوجود الإله، لكنهم اعتقدوا بحلول روح الإله في النباتات والحيوانات والبشر، ولكن ليس كل إنسان إنما الملك (الفرعون) المنتصر المسيطر الموحد للبلاد تحت إمرته وسيطرته.

3: الديانة الهندوسية:

–وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم سكان الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر إلى وقتنا الحاضر، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله.

– الإله في الفكر الهندوسي:

– يعتقد الهندوس بثالوث الآلهة الذي يسيطر على الكون:

1– براهما: سيد جميع الآلهة فهو القوة الخالقة للطبيعة.

2–فشنو: إله الحب، والذي كثيراً ما ينقلب إلى إنسان ليقدم العون للبشر.

3–شيفا: إله القسوة والتدمير وهو تجسيد للقوة الكونية التي تعمل على تخريب صورة الكون وهو لا يظهر عادةً إلا في ميادين القتال والمعارك الضخمة.

–وكما جعل الهندوس من الظواهر الطبيعية آلهة، جعلوا لبعض الحيوانات قداسة مثل: الفيلة– القردة– الأفاعي، أما البقرة فهي أكثر الحيوانات قداسة عندهم، وقد جعلوا لها تماثيل في كل معبد ومنزل وميدان، هذا كله لاعتقادهم أن هذه الحيوانات الضخمة مصادر قوة ترمز جيداً إلى القوة الكبرى التي تسيطر على هذا العالم الكبير[1].

4: الديانة البوذية:

–وهي ديانة وثنية تتبع تعاليم مؤسسها (بوذا)[1].

– مرت الديانة البوذية بمرحلتين:

1– فترة حياة بوذا (560– 480 ق م):

–اعتقد بعض الباحثين أنّ بوذا كان ملحداً، لم يدع بوذا أتباعه إلى التفكير في الله ووجوده وذاته مطلقاً، ولم يكلف أحداً بالخوض في هذه المسائل، التي يعدّها بوذا أمور لا تفيد ولا تجدي الإنسان، بل دعا أتباعه إلى الاعتقاد بأفكاره التي وضعها لهم.

2– بعد وفاة بوذا:

[14]1– لوبون، غوستاف: حضارات الهند، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م، ط1، ص 331.

–اعتقد أتباع الديانة البوذية أنّ روح الإله (فشنو) حلت في بوذا، فقاموا بتأليه بوذا وعبادته، وأعطوه صفات رب العالمين الدائم الأبدي، وقد انتشرت هذه الديانة في الهند والصين واليابان[2].

– ث: الديانة التاوية:

– لا يتطابق مفهوم التاوية[3] مع أي مفهوم نعرفه عن الألوهية المفارقة، الخالقة للعالم والمتحكمة به عن بعد، ولا مع أي قانون مفروض على العالم من خارجه، بل هو الخميرة الفاعلة في الكون من داخله، والنظام الضمني الذي يدفع صيرورة عمليات الطبيعة، من هنا فإن هذا المفهوم يتفق مع التصورات الفلسفية والدينية الصينية، التي لا تنظر إلى الكون بعده ناتجاً لفاعلية ملك سماوي، بل ترى فيه ما يشبه الجسد الحي الذي تعتمد وظائفه على بعضها بعضاً وفق تلقائية طبيعية مغروسة في صميمه، فالصينيون عبر تاريخهم لم يأخذوا مفهوم الألوهة المشخصة المفارقة للعالم بشكل جدي، ولم يكن لديهم تصور واضح عن إله يتربع على عرش الكون، كما يتربع الإمبراطور على عرش سلطانه، ورغم أن الميثولوجيا الصينية حافلة بالآلهة من شتى الأشكال والأنواع والاختصاصات، إلا أن هذه الآلهة لم تكن في حقيقتها إلا أسلافاً أسطوريين رفعهم الخيال الشعبي إلى مراتب عليا وقدسهم وأقام لهم المعابد، وتُظهر السير الأسطورية لهؤلاء

1–غوتاما بوذا: (563ق.م– 480ق.م)، باحث وفيلسوف ومفكر، وهو مؤسس ديانة أو فلسفة البوذية، و(بوذا) ليس اسم علم، وإنما لقب ديني معناه (الحكيم)، حول أتباعه تعاليمه إلى مبادئ دينية و ألهوه.

2– الندوي، محمد: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، دار الشعب للنشر، القاهرة، 1970م، ص 150.

3– التاو: وهي مجموعة مبادئ تنقسم لفلسفة وعقيدة دينية، مشتقة من المعتقدات الصينية القديمة، والتاو في اللغة الصينية تعني (الطريق)، ولكن بالمعنى الشمولي للكلمة الذي يدل على جوهر صيرورة عمليات الكون والطبيعة.

الأسلاف كيف ابتدأ أمرهم كرجال صالحين على الأرض، وكيف تم تأليهم وعبادتهم فيما بعد.

– ومما يلفت النظر في أمر الآلهة الصينية على كثرتها أنها لا تظهر كشخصيات ذات كيان محدد ووظيفة دائمة بل ككيانات غير واضحة الملامح تكسب قوتها من قوة المنصب الذي تشغله، ذلك أن الوظيفة الإلهية هي الثابتة أما شاغلوها فمتحولون ومتنقلون.

– إذاً الأشياء في التاوية تنشأ تلقائياً وبشكل متزامن[1].

ب–الإله المعبود في الديانات التوحيدية:

1–الديانة اليهودية:

–تحتل الديانة اليهودية مكانة مهمة في تاريخ الأديان، فهي من الديانات التوحيدية تستمد شرائعها وعقائدها الأساسية من التوراة.

– يهوه:

(وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء وأما بإسمي يهوه فلم أُعرف عندهم)[2] ، فعلى الرغم من أن الآباء استخدموا الاسم قبل الطوفان وبعده إلا أن معناه ومغزاه لم يكن معروفاً حتى ظهر الله لموسى في العليقة (فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، هكذا تقول لبني إسرائيل (يهوه) إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد، وهذا ذكري إلى دور فدور)[3]

---

[16] 1– لاو– تسو: التاو، ترجمة: فراس السواح، دار علاء الدين للنشر، ط1، 1998م، ص 11.

2– الفغالي/ عوكر، بولس/ أنطوان: العهد القديم العبري، ط1، المكتبة البولسية، 2007م، سفر الخروج، 6: 3

3- العهد القديم العبري، سفر الخروج 3: 13

– ويقول الأستاذ جرجس إبراهيم صالح: إنّ الله حينما أعلن لموسى عن اسمه الممجد (يهوه) لم يكن اسماً جديداً، لكنه إعلان HAWAH عن تمام عهده الذي قطعه مع إبراهيم وأكده مع إسحق ويعقوب.

– فأهيه أو يهوه هو اسم ذات لله بمعنى (أكون ويكون) وهما في فعل الكينونة للمتكلم (أكون) وللغائب (يكون) فأهيه للمضارع المفرد المتكلم، ويهوه للمضارع المفرد الغائب، أهيه الذي أهيه = أكون الذي أكون (بصفة المتكلم) = أنا الذي أنا = أنا هو = الذي أنا هو = أنا هو الكائن.

– يهوه = الكائن (صيغة المضارع الغائب) = الواجب الوجود = القائم بذاته.

–وكل من الاسم (أهيه– يهوه) مشتق من الفعل (هافاه HAWAH) ومعناه يكون أو يصير أو يوجد، وسواءً كان الاسم أهيه أو يهوه فالمقصود منه:

1– إنّ الله هو الكائن وحده الذي لا شريك له في الربوبية.

2–إنه هو الكائن الواجب الوجود أي الذي لا بدّ أن يكون.

3–هو الكائن دائماً أي الأزلي الأبدي.

–وقد استخدم الكتاب المقدس أكثر من اسمين للفظة الجلالة، وفيما يلي نذكر بعض هذه الأسماء ودلالتها

1– إل:

–وهو أقدم الأسماء المعروفة للبشرية وتشير للألوهية، حتى إن كثير من الشعوب كان يستخدم ذات الاسم للتعبير عن آلهتهم، فاسم (إل) يعني الألوهية بصفة عامة، ويبدو أن اسم (إل) عُرف لدى البشرية عقب الطوفان، وجاء اسم (إل) في العهد القديم بصيغة الجمع (إلوهيم) كإشارة مبكرة للثالوث القدوس.[17]

– فاسم (إل): هو اسم جنس يدل على الألوهية بصفة عامة، واسم علم يدل على الشخص الوحيد والمحدود والمحدد الذي هو الله.

[17]1– العهد القديم العبري، سفر التكوين 17: 1

– أما إلوهيم: فهو صيغة جمع لا جمع التفخيم فهذا غير معروف في اللغة العبرية، وليس أيضاً أثراً وثنياً.

– إذاً كان إل معروفاً ومعبوداً ويعني الألوهية تقريباً في كل العالم السامي، وفي القسم الغربي من المنطقة خاصةً في فينيقيا وكنعان، وقد اقترن اسم إل بأسماء أخرى وصفيّة لتشير إلى الله في صفاته.

أ– إل شدّاي: وشدّاي : جمع كلمة شاد أي قوة أو قدرة، وشدّاي = أصحاب القوات = أصحاب القدرات = المقتدرون، وتُرجم إلى العربية (القدير)، وإل شدّاي أي القدير رب القوات أو الرب القدير، وقد ورد اسم شدّاي 48 مرة في العهد القديم منها أكثر من ثلاثين مرة في (سفر أيوب، ومرتين في المزامير).

(ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملاً)[1]

–وكان هذا هو الإعلان الأول للإنسان عن اسم من أسماء الله في الكتاب المقدس.

ب– إل رئي:

–وتعني الله إله الرؤية أي الذي يرى كل شيء، فعندما ظهر الله لهاجر وأوصاها بالعودة إلى بيت سيدها (فدعت اسم الرب الذي تكلم معها: أنت إل رئي لأنها قالت أههنا أيضاً رأيت بعد رؤية)[2]

ت– إل أولام:

–وهذا تعبير يشير إلى سرمدية الله أي أنه أزلي بلا بداية، وأبدي بلا نهاية :

(وغرس إبراهيم أثلاً في بئر سبع ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي)[3]

2–إلوهيم:

–اسم إلوهيم جمع إل، ومعنى إل القدير أو القوي، فإلوهيم تعني الله القوي الأزلي الأبدي، وهو من أكثر الأسماء التي وردت في العهد القديم حتى أنه ورد في سفر التكوين نحو

مئتي مرة، فجاء في أول آية في الكتاب المقدس (في البدء خلق الله (إلوهيم) السموات والأرض)[4]

3- أدوناي:

-أدوناي جمع كلمة (أدون) ومعناها (السيد- المولى- المالك- الرب الملك)، وترجمت في العربية إلى : السيد أو الرب.

- أما بالنسبة إلى اختلاف الأسماء الإلهية، فيبدو أن السبب دخول مصادر مختلفة في تأليف التوراة، فهناك المصدر(اليهوي) الذي يستخدم اسم (يهوه)، والمصدر الإلوهيمي الذي يستخدم اسم (إلوهيم)، ومصدر التثنية والمصدر الكهنوتي اللذان يشتركان مع المصدرين الأولين في استخدام هذه الأسماء ولكن يختلف عنها في خصائص أخرى[1].

2-الديانة الإسلامية:

-الله في الديانة الإسلامية:

- يؤمن المسلمون بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر.

ومن صفات الله:

أ- الوحدانية:

-يؤمن المسلمون بوحدانية الله عزّ وجل، فهو الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له، ولم يكن له كفواً أحد والذي لم يلد ولم يولد.

- ومن السور التي يستدل المسلمين بها على ذلك:

(قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)[2]

---

[18] 2- العهد القديم العبري، سفر التكوين 13:16

3- العهد القديم العبري، سفر التكوين 21: 33

4- العهد القديم العبري، سفر التكوين 1: 1

[19] 1- يعقوب، حلمي: النقد الكتابي، مدارس النقد و التشكيك والرد عليها. (موقع الكتروني).

2- (القرآن الكريم: سورة الإخلاص، 30/ 1-4)

3- (القرآن الكريم: سورة البقرة، 163/2).

(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)[3]

ب: أزلية الله:

-يتصف الله بالأزلية، فهو أزلي قديم لم يزل موجوداً بصفات الكمال، ولا يزال دائماً مستمراً باقياً سرمدياً بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال.

ت: الله واجب الوجود:

-إن مصطلح واجب الوجود يشير إلى وجود أصلي ثابت لا يتغير، سبب لكل موجود سواه، واجب الوجود بذاته، فالله خالق الكون وجميع المخلوقات، واهب الخير للإنسان.

- وغيرها من الصفات التي تدل على وحدانية و كمال الله سبحانه وتعالى.

- إذاً مفهوم الله في الإسلام:

- يتصف الله بالوحدانية والأزلية وبالكمال المطلق فهو واجب الوجود، واهب الخير للإنسان، خالق الكون والمخلوقات[1]

نتائج البحث:

1-قدَّم البحث مادة علمية عن مسألة هامة وهيَّ الألوهية بين الفكرة والحاجة بعرض آراء الفلاسفة الإغريق والأوربيين والمسلمين.

2-تحدث البحث عن تطور مفهوم الإنسان عن الإله، ابتداءً من عصور ما قبل التاريخ مروراً بالديانة المصرية القديمة والهندوسية والبوذية .

3-أعطى البحث صورة واضحة عن مفهوم الإله في الديانات التوحيدية (اليهودية - الإسلامية) .

[20] 1- بن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، هجر للطباعة والنشر، الجزء الأول، 1997م، ص3.

مصادر البحث ومراجعه :

1-أور، فرنسيس، 1995م، حضارات العصر الحجري القديم. مكتبة الإسكندرية. 360ص .

2-ابن سينا، الحسين بن علي، النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية. دار الآفاق الجديدة. بيروت. 387ص .

3-عجيبة، أحمد، 2004م، دراسات في الأديان الوثنية القديمة. دار الآفاق العربية. القاهرة. 290ص .

4-بن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل، 1997م. البداية والنهاية. هجر للنشر. 567ص .

5- اللواتي، محمد بن رضا، 2016م، المعرفة والنفس والألوهية في الفلسفة الإسلامية والمدارس الفلسفية الأخرى. دار المعارف. بيروت. 487ص .

6- لوبون، غوستاف, 2009م، حضارات الهند. دار العالم العربي. القاهرة. 496ص .

7- الماجدي، خزعل، 1997م، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ. دار الشروق. 369ص.

8- الندوي، محمد، 1970م، الهند القديمة حضارتها وديانتها. دار الشعب للنشر. 287ص .

النظام الضريبي في العراق في عصر الدولة البويهية وأثره على المجتمع (334-447هـ / 944-1055م)

طالب الدكتوراه : ملاذ غالي

كلية الآداب – قسم التاريخ – جامعة دمشق

اشراف الأستاذة الدكتورة : سميحة أبو الفضل

ملخص البحث

يشمل النظام المالي كل ما يتعلق بالواردات والنفقات، وفي كثير من الأحيان تسعى الدول إلى تحقيق التوازن بين موارد الدولة ونفقاتها، لكن هذا المسار ليس ملزماً بالضرورة فتلجأ بعض الدول، ونتيجة لبعض المتعلقات – شخصية الحاكم – الأعمال العسكرية – الحالة الاقتصادية– إلى زيادة العبء الاقتصادي على الشعب، وفرض ضرائب قد تكون جائرة وغير شرعية.

فقد اعتمد البويهيون في العراق في أثناء سيطرتهم على العراق في الحقبة الممتدة ما بين (334-447هـ/ 944-1055م)، كغيرها من الدول العربية والإسلامية السالفة على تطبيق النظام الضريبي (المتعدد الأشكال – شرعي وغير شرعي) وجبايته من عامة الناس، كمصدر دخل لخزينة بيت مال المسلمين، فتعددت أنواع الضرائب وطرق جبايتها وتحصيلها، مما كان له الأثر البالغ على الناس والمجتمع، فانعكس ذلك سلباً على حياة السكان، الذي أدّى إلى تذمرهم أحياناً، والمطالبة بتخفيض مقدار الضريبة أحياناً أخرى، إضافة إلى القيام بإلغاء بعض الضرائب المستحدثة.

.the tax system in Iraq during the reign of the Boayheen and its impact on society (334 – 447 H / 944 – 1055 CE)

Summary

Summary of the involves all incomes and expenditures of a country . usually countries strive to achieve balance between the states incomes and expenditures this course is not necessarily obligatory.

Some countries for some reasons like the personality of the ruler, military actions , or economic situation tend to increase economic burden on the people , or to impose taxes that might be intense and illegal .

During their dominance over Iraq (334 – 447 H / 944 – 1055 CE) , as any other previous Arab or Islamic states , Boayheen depended on divers tax system legal and illegal as resource for the treasury of state . the types of taxes , the ways of collecting them , and this lad a great inference on the people and the society . as a result , people were forced to complain and ask for the reduction of the amount of taxes , even asking for the cancellation some other new taxes.

أولاً: المقدمة:

قامت الدولة العربية الإسلامية وفق نظم شاملة وعادلة، تستند إلى الشريعة الإسلامية، فنظمت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، وقد تطورت هذه النظم مع تطور المجتمع وانتقاله من مرحلة إلى أخرى، ومن عصر إلى عصر، ومن الأمور التي كانت محط الاهتمام والتنظيم هي الأمور الاقتصادية والمالية، وكانت الشريعة الإسلامية حريصة على الحقوق والواجبات والالتزامات، ولا سيما أنها كانت تتعلق بحقوق العباد على الدولة وفيما بينهم، وفي حق الدولة عليهم، لذلك أحدثت العديد من الدواوين التي دونت كل شاردة وواردة، وفرضت الدولة الضرائب كواجب يجب تأديته بمقدار معلوم وثابت، لتأمين نفقات الدولة، وتأمين متطلبات الدولة وواجباتها تجاه المجتمع المحكوم.

على أنّ هذا النظام المالي كان يتغير بتغير الأوضاع واستقرارها، أو تغير المرحلة، أو تغير النظام الحاكم، أو من كان مكلّفاً على تحصيلها وجمعها، قسوة أو رأفة، صعوداً أو هبوطاً.

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث: (النظام الضريبي في العراق في عصر الدولة البويهية وأثره على المجتمع 334-447هـ / 944-1055م)، بدراسة النظام الضريبي المتّبع عند البويهيين في العراق، وعن أنواع الضرائب المفروضة على السكان، وعن أثر هذه الضرائب على المجتمع، وردّة فعل السكان عند كثرتها، ورفع قيمتها، ومقارنة النظام الضريبي السائد في الدولة العباسية مع النظام الضريبي المعتمد لدى الدولة البويهية، وما الجديد في النظام الضريبي لدى البويهيين.

ثالثاً: إشكالية البحث:

سيتم في هذا البحث إثارة العديد من التساؤلات حول النظام الضريبي المتّبع في عصر الدولة البويهية.

ويمكن تحديد مشكلة البحث من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

1- هل استمر النظام الضريبي المتبع لدى الخلفاء العباسيين في السنوات السابقة ؟

2- هل استحدث الحكام البويهيين أنظمة ضريبية جديدة؟ وكيف كانت تجبى الضرائب؟

3- إلى أي حد كانت الضرائب عادلة؟ أم أثقلت كاهل السكان ؟

4- هل أثرت الضرائب على المستوى المعيشي للسكان؟ وبالمقابل هل زادت موارد الدولة على حساب الناس؟ وهل استثمر الحكام البويهيون هذه الضرائب في تنمية المشاريع في الدولة؟

5- وهل تقبل الناس هذه الضرائب أم كانت لها ردود أفعال؟ وما موقف الحكام البويهيين منها؟

رابعاً: منهج البحث:

تمّ الاعتماد في هذا البحث على المنهج العلمي التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي في دراسة الأصول والمصادر الكتابية من أجل الوصول إلى النتائج الصحيحة واستقراء كافة المعلومات الواردة في المصادر والمراجع والقيام بتحليلها لاستنباط رؤية جديدة في مجال (النظام الضريبي في العراق في عصر الدولة البويهية وأثره على المجتمع (334-447هـ / 944-1055م)، للوصول إلى النتائج المنشودة والأقرب للحقيقة التاريخية.

خامساً: دراسات سابقة:

من خلال البحث والاستقصاء تبين أنه لا توجد دراسة سابقة تفصيلية عن النظام الضريبي المتبع لدى الدولة البويهية، وإنما هناك دراسات عامة وغير تفصيلية عن الدولة البويهية بمختلف نواحيها، ومن تلك المؤلفات:

1- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري.

2- حسن منيمنة تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مقاطعة فارس.

سادساً: مصطلحات البحث:

الدولة البويهية، الضرائب، عضد الدولة البويهي، صمصام الدولة، الجزية، الخراج، الإقطاع.

سابعاً: بنو بويه:

يعود نسب وتسمية الأسرة البويهية إلى رجل يدعى بويه أبو شجاع بن فناخسرو بن تمام، وقد تعدّدت الآراء في نسب بويه، فمنهم من قال بأنّ نسبهم ينتهي إلى يزدجرد بن شهريار[1] آخر ملوك الفرس من بني ساسان، حتى ينتهي بيهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل حتى ينتهي إلى آدم أبي البشر، ومنهم من ذكر بأنهم من عامّة الناس ولا يوجد للملوك ذكراً في نسبهم[2].

كان بويه والد الأمراء الثلاثة علي[3] والحسن[4] وأحمد[5] من الرعية الفقراء في بلاد الديلم[6]، وكان يعمل في صيد السمك، وقيل إنهم ليسوا من الديلم وإنّما سبب تسميتهم بالديلم لأنهم سكنوا بلاد الديلم[7].

لقد كان أولاد بويه يمتهنون الفروسية، وهذا ما جعلهم يدخلون في جيش ماكان بن كالي[8]، فترقّوا في جيشه إلى مرتبة الأمراء، وعندما وقع الخلاف بين ماكان وحليفه مرداويج بن زيار[9]، انتصر الأخير على ماكان، فانحاز أولاد بويه إليه وتقرّبوا منه،

---

[1] يزدجرد بن شهريار من ملوك الفرس الأكاسرة من بني ساسان وآخرهم، هُزم جيشه على يد المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص، في معركة القادسية سنة (15هـ / 636م)، وهرب إلى خراسان، وقُتل فيها سنة (31هـ / 651م)، ابن الطقطقا، (محمد بن علي، ت 709هـ / 1309م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د,م، د.ط، د.ت، ص78-82.

[2] ابن خلكان، (أحمد بن محمد، ت 681هـ / 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص174،405.

[3] علي بن بويه بن فناخسرو بن تمام، أبو الحسن، لُقّب بعماد الدولة، أول من ملك من بني بويه، وكان حاكماً لبلاد فارس، توفي سنة (338هـ / 949م)، الذهبي، (محمد بن أحمد، ت 748هـ / 1347م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، ج7، ص718.

[4] الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي، أبو علي، لُقّب بركن الدولة، وكان صاحب أصبهان والري وهمذان، ولد تقريباً سنة (284هـ / 897م)، وتوفي سنة (366هـ / 976م)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص118-119.

[5] أحمد بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو، أبو الحسين، ولُقّب بمعز الدولة، ولد سنة (303هـ / 915م)، ودخل بغداد سنة (334هـ / 945م)، وتوفي سنة (356هـ / 966م) في بغداد، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص174-177.

[6] بلاد الديلم ناحية واسعة بين طبرستان وأذربيجان، جنوب غرب بحر قزوين، وهي منطقة جبلية وعرة، وهي الآن إقليم جيلان في إيران، واصف، (أمين): الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، مراجعة: أحمد زكي، هنداوي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص38.

[7] ابن الطقطقا: الفخري، ص277.

[8] ماكان بن كالي من قادة الديلم الذين بدأ ظهوره بالاستيلاء على الري سنة (315هـ / 927م)، وقُتل سنة (329هـ / 940م)، عند الري، ابن الأثير، (علي بن محمد، ت 630هـ / 1233م): الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ج7، ص153.

[9] مرداويج بن زيار كان من القادة الذين خدموا أسفار بن شيرويه الديلمي، وعندما سيطر أسفار على قزوين، قام مرداويج بقتله وتولّى مكانه سنة (315هـ /927م)، وقُتل مرداويج في أصبهان سنة (322هـ /933م)، ابن

فرحّب بهم مرداويج، وقام بتولية علي بن بويه على بلاد الكرج[1]، الذي تقرّب من أهلها فأحبوه على معاملته الحسنة، وبعد مدّة من الزمن، وقع الخوف في نفس مرداويج من ابن بويه، وحدثت عدّة حروب بينهما، انتهى الأمر بالصلح بينهما، وبعد مقتل مرداويج بن زيار سنة (322هـ / 933م)، على يد الأتراك، بسبب سوء سيرته وأفعاله، آل الأمر إلى بني بويه الذين سرعان ما سيطروا على بلاد فارس[2] وهمذان[3] وأصبهان[4] والري[5]وكرمان[6] وغيرها، وأرسلوا إلى الخليفة العباسي الراضي بالله (322–329هـ / 933–940م)[7] يطلبون منه الشرعية في حكمهم، فوافق على ذلك[8].

وبعد أن أصبحت تلك المناطق تحت سيطرة البويهيين، توجّهت أنظارهم إلى العراق لضمّها إلى سلطتهم، مستغلين الظروف السياسية والاقتصادية المضطربة، والفتن والحروب الداخلية المنتشرة في العراق، فسار الأمير البويهي أحمد بن بويه على رأس

الجوزي، (يوسف بن قزأوغلي، ت 654هـ / 1256م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: زاهر إسحاق، وفادي المغربي، وعمار ريحاوي ، دار الرسالة العلمية، بيروت، ط1، 2013م، ج16-17، ص69،525.

[1] الكرج مدينة بين همذان وأصفهان، وهناك الكرج من قرى الري، الحموي، (ياقوت بن عبد الله، ت 626هـ / 1229م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ج4، ص446.

[2] فارس: ولاية وإقليم واسع، يقع ما بين نهر بلخ إلى أذربيجان، وأرمينية إلى الفرات، ثم برية العرب إلى عمان وإلى كابل وطخارستان، الهمذاني، (أحمد بن محمد، ت 340هـ / 951م): البلدان، تح: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1996م، ص405.

[3] همذان: بلد واسع، كثير الأقاليم، وهي منسوبة إلى همذان بن الفلوج بن سام بن نوح، فتحها المسلمون سنة (23هـ / 643م)، وقيل سنة (24هـ / 644م)، على يد المغيرة بن شعبة، اليعقوبي، (أحمد بن يعقوب، ت بعد 292هـ / 905م): البلدان، مطبع بريل، ليدن، د.ط، د.ت، ص48 ؛ الهمذاني: البلدان، ص459.

[4] أصبهان: وهي مدينة عظيمة مشهورة واسمها فارسي معناه بلاد الفرسان ، وهي مدينة أصفهان الإيرانية وتقع جنوب طهران ، الحموي : معجم، ج1 ، ص206-207 ؛ العفيفي، (عبد الحكيم): موسوعة 1000 مدينة إسلامية، أوراق شرقيات، بيروت، ط1، 2000م، ص54.

[5] الري: مدينة تقع على طريق خراسان، سميت بهذا الاسم نسبة إلى رويّ من بني بيلان بن أصبهان بن فلوج بن سام، دخلها المسلمين سنة (23هـ / 643م) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، اليعقوبي: البلدان، ص52؛ الهمذاني: البلدان، ص537.

[6] كرمان ولاية مشهورة وناحية كبيرة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، ذات قرى ومدن واسعة، فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان، اليعقوبي: البلدان، ص64.

[7] الراضي بالله أبو العباس أحمد وقيل محمد بن المقتدر، ولد سنة (297هـ / 909م)، وبويع بالخلافة سنة (322هـ / 933م)، وتوفي في بغداد سنة (329هـ / 940م)، ابن عبد ربه، (أحمد بن محمد، ت 328هـ / 939م): العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ج5، ص386؛ ابن الطولوني، (الحسن بن حسين، ت 923هـ / 1517م): النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية، تح: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، ص101.

[8] ابن مسكويه، (أحمد بن محمد، ت 421هـ / 1030م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج5، ص92، 158-159؛ ابن الجوزي، (عبد الرحمن بن علي، ت 597هـ / 1200م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995م، ج13، ص338، 341-342.

جيش إلى بغداد واستطاع إخضاعها سنة (334هـ / 944م)، فكان أحمد بن بويه أول أمير بويهي حاكماً للعراق، واستمر حكم البويهيين من بعده حتى سنة (447هـ / 1055م)، عندما دخل السلاجقة إلى بغداد بزعامة طغرلبك[1].

كان البويهيون في العراق هم أصحاب القول والفعل، تاركين للخليفة العباسي الاسم فقط، فقاموا بإدارة مفاصل الدولة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً، فكانت سياستهم الاقتصادية تقوم على دعم الزراعة والصناعة والتجارة، واعتمدوا كغيرهم من الحكام على الضرائب كمورد من الموارد المالية لبيت المال.

ثامناً: المقومات الاقتصادية في عصر الدولة البويهية:

أ-الزراعة:

شكلت الموارد الزراعية مصدراً هاماً لواردات الدولة، فكان لا بدّ من الاهتمام بالزراعة والعمل على تنشيطها ودعمها، وعندما سيطر البويهيون على أراضي الخلافة العباسية، أبدوا رغبة في تطوير الزراعة والاهتمام بها، فقاموا بتنظيم الري، وتغلّبوا على أثر الفيضانات وتهديدها للمزروعات، واهتموا بالأنهار، وأقاموا السدود عليها، لكنّ سياسة الاقطاع العسكري التي عمل عليها الأمير البويهي معز الدولة أحمد (334-356هـ / 945-966م)، أدّت إلى تدهور أحوال الزراعة، وبقي الأمر على هذه الحالة حتى مجيء عضد الدولة فناخسرو البويهي (338-372هـ / 949-982م)[2] حاكماً للعراق سنة (367هـ / 977م)، الذي اهتم بالزراعة، وقام بأفعال من شأنها زيادة المردود وبالتالي الاستفادة من ذلك بالعائدات إلى خزينة الدولة عن طريق الضرائب المفروضة، حيث نظّم الضرائب وفرضها على المواسم الزراعية عندما تنضج المحاصيل الزراعية، وأخذ يشجع

[1] طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب بـ ركن الدين طغرلبك، أول ملوك السلاجقة، وهم من الأتراك، كانوا يسكنون ما وراء النهر عند بخارى، ولد سنة (385هـ / 995م)، ملك بغداد والعراق سنة (447هـ / 1055م)، وتوفي سنة (455هـ / 1063م) في الري، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص63-67؛ الزركلي، (خير الدين): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج7، ص120.

[2] عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه، تسلّم حكم فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة سنة (338هـ / 949م)، وقيل سنة (339هـ / 950م)، وتوفي سنة (372هـ / 982م)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص50-55.

المزارعين على الزراعة ويستمع لمطالبهم، ويبحث في الشكاوى المقدّمة منهم ولو كانت موجّهة ضد العسكريين الذين يملكون اقطاعات من الأراضي[1].

كما قام الأمير عضد الدولة، بحفر القنوات لدرء خطر الفيضانات عندما تعرضت بغداد إلى فيضان نهر دجلة.

ولم يكتف بذلك بل عمد أيضاً في سنة (369هـ / 979م)، إلى تنظيف الأنهار الملوّثة، والتي كانت مصدراً للأوبئة والأمراض، فأصبحت نظيفة وصالحة للزراعة بعد أن أعاد حفرها وإمدادها من جديد.

وأشرف البويهيون على توزيع المياه، وأنشأت القنوات، وأقيمت السدود، وخزانات المياه، واستخدمت السلطة البويهية من أجل تنفيذ هذه الوسائل الزراعية عدداً من المهندسين الزراعيين، كما كانت تطالب المزارعين بالعمل والمشاركة في هذه الأعمال التي تخدم الزراعة من تنظيف لقنوات الري أو غيرها من الأعمال التي تنهض بالزراعة، وكان ديوان الخراج يشرف على تنفيذ هذه الأعمال، وبشكل عام أهمل باقي الأمراء البويهيين السدود وقنوات الري، الأمر الذي أدّى إلى فيضانات نهري دجلة والفرات بتخريب الأراضي الزراعية ومحاصيلها[2].

وقد انتشرت حرفة ممارسة الزراعة في المناطق المجاورة للأنهار مثل أراضي البصرة ومنطقة السواد وواسط والبطائح.

ويبدو مما سبق أنّ البويهيين قد اهتموا وأولوا الزراعة عناية ملحوظة من خلال ري الأنهار وشق الترع والقنوات المائية، مما انعكس على ازدهارها، فتنوعت المحاصيل وزادت الغلال، وهذا ما وفّر موارد إضافية للدولة من خلال الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية بمختلف أنواعها.

---

[1] ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص283، 447-449؛ الروذراوري، (محمد بن الحسين، ت 488هـ / 1095م): ذيل تجارب الأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص33-35؛ الدوري، (عبد العزيز): دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مكتبة السريان، بغداد، د.ط، د.ت، ص261-269.

[2] ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص447-449؛ الدوري: دراسات، ص268-270.

الإقطاع:

الإقطاع نوعان: إقطاع تمليك، وإقطاع استغلال.

أمّا إقطاع التمليك فينقسم إلى ثلاثة أقسام: موات وعامر ومعادن.

وإقطاع الاستغلال فهو نوعان: عشر وخراج[1].

فإقطاع التمليك يُعطى لصاحبه ملكية تامة، ويدفع صاحب الإقطاع العشر.

وإقطاع الاستغلال يقوم على إعطاء الأراضي بالإيجار أو بالضمان أو بالمزارعة، ويدفع صاحبه إمّا نسبة من المحصول، أو يدفع مبلغ نقدي محدد.

لقد كان البويهيون هم أصحاب القرار في توزيع الإقطاعات، وعرفت باسم الاقطاعات العسكرية عند توزيعها للجند، حيث قام الأمير البويهي معز الدولة بتوزيع الأراضي للجند الأتراك والديلم، عندما عجز عن تسديد رواتبهم، ومقابلاً للمعارك والحروب التي خاضوها، أقطعهم القرى، ولكن مقابل أن يدفعوا أموالاً عن إقطاعاتهم، ولم يلتزم قسم من الجند بدفع الضريبة للدولة البويهية، وقاموا بتخريب إقطاعاتهم، الأمر أدّى إلى تدهور الأحوال الزراعية، وإرهاق السكان بالضرائب لتسديدها للحكومة[2].

ويبدو أن قضية اعتماد البويهيين على نظام الاقطاع العشري بدلاً من دفع الرواتب للجند، مقابل دفع الجند الضريبة عن اقطاعاتهم، أدى إلى تدمير وتخريب الزراعة بسبب إهمالهم لإقطاعاتهم، كما ساهم ظلم وتعسف الجند في إقطاعاتهم إلى إرهاق السكان ورحيل قسم من الفلاحين، وهجرهم لأراضيهم.

ولم تتوانى الدولة البويهية في بعض الأحيان من رفع مقدار ضريبة الخراج، كما فعل الأمير عضد الدولة البويهي، برفع مقدارها إلى (10%) بسبب حاجته للأموال، ولم يتوقف الأمر عند زيادة الضرائب بل رأى بعض الوزراء أحياناً في عهد معز الدولة وابنه بختيار (356-367هـ / 966-977م)[3]، بأن يجبى الخراج قبل نضوج المحاصيل

---

[1] الفرّاء، (محمد بن الحسين، ت 458هـ / 1065م): الأحكام السلطانية، علّق عليه: محمد حامد الفيقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 2000م ، ص229-232.

[2] ابن الأثير: الكامل، ج7، ص211؛ منيمنة، (حسن): تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مقاطعة فارس، الدار الجامعية، د.م، د.ط، 1987م، ص342-343.

[3] بختيار عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة البويهي، تولّى العراق بعد وفاة والده معز الدولة سنة (356هـ / 966م)، وتوفي مقتولاً سنة (367هـ / 977م)، في معركة مع ابن عمه عضد الدولة، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص267.

الزراعية عند الحاجة الملحة للأموال كدفعة أولى، ويجبى باقي الخراج عند حلول الموسم[1].

وهذا على عكس ما كان يحدث سابقاً، حيث راعى بعض الخلفاء مصلحة الناس، فقد عمد الخليفة المعتضد (279–289هـ / 892–902م)، على تأجيل السنة المالية مرتين متتاليتين، لتصبح هذه السنة متناسبة مع فترة جني المحاصيل، فكان التأجيل في المرة الأولى من 15آذار إلى 17حزيران، وفي المرة الثانية من 17حزيران إلى 21تموز[2]، الأمر الذي لاقى استحساناً وارتياحاً لدى الفلاحين، والذي على ما يبدو أن هذا الإجراء قد أثقل كاهلهم سابقاً.

ب–الصناعة:

للصناعة نصيب كبير من عناية الخلفاء العباسيين الأوائل، فقد اهتموا باستخراج المعادن، فاستخرجوا الفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم فارس وخراسان وكان بالقرب من بيروت مناجم للحديد، ساعد وجودها على نمو بعض الصناعات المعدنية، كما استخرجوا الخزن والمرمر من تبريز، والملح والكبريت من شمالي فارس، والنفط من بلاد الكرج[3].

والواضح أنه نشطت حرف كثير في العراق في العصر البويهي، ومن أشهر الصناعات الرئيسة في العراق ومراكزها:

صناعة الطواحين: حيث اهتم بها البويهيون، خاصة في عهد الأمير عضد الدولة البويهي، الذي ملك عدداً منها خاصة على نهر عيسى[4][5]، وكانت تفرض الضرائب عليها[6].

---

[1] الروذراوري: ذيل تجارب، ص46؛ الدوري، (عبد العزيز): تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، دار المشرق، بيروت، ط2، 1974م، ص215.

[2] حسن، (إبراهيم حسن): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط14، 1996، ج3، ص299.

[3] حسن : تاريخ الإسلام،ج1، ص230. .

[4] نهر عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو يمر بعدة قرى تقع غربي مدينة بغداد، ومأخذه من نهر الفرات، الحموي: معجم، ج5، ص321.

[5] ابن الجوزي: المنتظم، ج14، ص292.

[6] ابن حوقل، (أبو القاسم محمد، ت 367هـ / 977م): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، 1992م، ص198.

صناعة المنسوجات: زاد الاهتمام بصناعة المنسوجات من قبل الحكام البويهيين، حيث بنى عضد الدولة دوراً كبيرة، وصُنعت المنسوجات الملونة من القطن والصوف والحرير، وأهم مراكز صناعتها كانت بغداد، والتي تميّزت منسوجاتها بالجمال والجودة، كما اشتهرت تكريت بصناعة الصوف، والكوفة بعمائم الخز، والبصرة بصناعة الخز[1]، والمرجح أن جميع هذه المنسوجات كانت تفرض عليها الضرائب بدليل أن الأمير البويهي صمصام الدولة قام سنة (375هـ / 985م)، بفرض ضريبة العشر على المنسوجات الحريرية[2]، ومن المرجح أن هذه الضرائب المفروضة لم تكن محصورة على بعض هذه الصناعات المذكورة، بل يعتقد أنها شملت أغلب الصناعات، لكن لم يتم ذكرها بشكل تفصيلي في المصادر.

ج-التجارة:

يتميز العراق بموقعه الجغرافي الهام الذي جعله منطقة عبور ما بين الهند والصين وأواسط آسيا وإيران من جهة، وبين شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر والغرب الأوروبي من جهة أخرى، الأمر الذي أدّى إلى ازدهار التجارة والعمل على تقويتها[3].

وعندما سيطر البويهيون على العراق، عملوا على حماية الطرق والمحافظة على أمنها من المفسدين وقطاعين الطرق، فازدهرت التجارة، وقاموا بمراقبة التجارة مراقبة شديدة، وعملوا على الحد من أطماع التجار، ولم يسمح البويهيون باحتكار أصناف البضائع من قبل التجار[4]، وقد سمح عضد الدولة البويهي للحكومة باحتكار بعض الأصناف مثل صناعة القز والحرير وعمل الثلج[5].

ويلاحظ أن التجارة وعملية نقل البضائع، كانت من أهم موارد الدولة البويهية، ولم تكن بعيدة عن منأى النظام الضريبي، وقد ذكر المقدسي أثناء حديثه عن العصر البويهي عن ثقل الضرائب المفروضة على البضائع برّاً وبحراً، في البصرة والكوفة وبغداد حيث قال:

---

[1] المقدسي، (محمد بن أحمد، ت 380هـ / 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، قدّم لها: شاكر لعيبي، دار السويدي، أبو ظبي، ط1، 2003م ، ص129،135.

[2] ابن الأثير: الكامل، ج7، ص425.

[3] الجاحظ، (عمرو بن بحر، ت 255هـ / 868م): البخلاء، تح: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت، ص36؛ الدوري: تاريخ العراق، ص137.

[4] الروذراوري: ذيل تجارب، ص36.

[5] الروذراوري: ذيل تجارب، ص47؛ابن الأثير: الكامل، ج7، ص406.

((وإذا رجع الحاج مكسوا أحمال الأدم والجمال الإعرابية، وكذلك بالكوفة وبغداد، ويؤخذ من الحاج للمحمل ستون، ومن الكنيسة أو حمل البزّ مائة ومن المعمارية خمسون، ومائة بالبصرة والكوفة[1])).

تاسعاً: النظام الضريبي في عصر الدولة البويهية:

عمل البويهيون على فرض كل أنواع الضرائب الشرعية وغير الشرعية، وقد تمثلت الضرائب الشرعية بالخراج والعشر والجزية، والضرائب المفروضة على أهل الذمة من التجار، والتجار الأجانب، وخمس المعادن، أما الضرائب غير الشرعية فكان لها مسوغات كثيرة منها كثرة نفقات الدولة، ومصاريفها للحروب والعمران والترف والبذخ، وغيرها من رواتب للجند والموظفين، وتأتي على رأس القائمة المكوس والميراث، وعند الحاجة للأموال كانت تفرض ضرائب على الحوانيت والأسواق والطواحين، وعلى البضائع المنقولة والسلع الغذائية، وكان الأمير البويهي هو الآمر الناهي لهذه الضرائب، فبيده إلغائها، أو تخفيض قيمتها[2].

أ-الخراج:

ذكر الماوردي بأنّ: ((الخراج ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدّى عنها))، وقد ذكر ابن منظور الخراج بأنه: ((الخراج شيء يُخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم، والخراج غلّة العبد والأمة، والخراج الإتاوة تؤخذ من أموال الناس، والخراج أن يؤدي العبد إليك خراجه أي غلّته، والرعيّة تؤدي الخراج إلى الولاة، وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: الخراج بالضمان، ومعنى الخراج في هذا الحديث غلّة العبد[3])).

ولقد جعل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج على الأرض خاصّة[4].

وللخراج شروط حسب نوع الأرض مروية أو بعلية، وحسب نوع الثمار والمزروعات[5].

---

[1] المقدسي: أحسن التقاسيم، ص140-141.

[2] منيمنة: تاريخ الدولة البويهية، ص392.

[3] الماوردي، (علي بن محمد، ت 450هـ / 1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط1، 1989م، ص186؛ابن منظور، (محمد بن مكرم، ت 711هـ / 1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، د،ط، د.ت، ج2، ص251.

[4] ابن السلام، (أبو عبيد القاسم، ت 224هـ / 838م): الأموال، تح: أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدي النبوي، القاهرة، ط1، 2007م، ج1، ص145.

[5] الماوردي: الأحكام السلطانية، ص189.

وفي العصر الأموي ضجّ السكان من كثرة الضرائب المفروضة عليهم، وقد وجد البعض بأنّ الخلافة الأموية قد خرجت عن القواعد المتّبعة في الضرائب وجمعها، بفرض نظام صارم في جمع الأموال، حتى وجد السكان في قيام الخلافة العباسية رحمةً وخلاصاً، فبدأ العباسيون بتغيير النظام الضريبي المتّبع أيام الأمويين، فقام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136-158/753-774م)[1] بوضع قواعد لمراقبة عمال الخراج، ووضع العقوبات في حال ظلمهم أثناء الجباية، واهتم بديوان الخراج[2].

وقد كان لجباية الخراج في العصر العباسي الأول ثلاث طرق هي: المحاسبة وهي إمّا أن تكون نقداً أو نوعاً أو كلاهما، والطريقة الثانية هي المقاسمة وهي ضريبة نوعية تؤخذ على المحصول، والطريقة الثالثة هي المقاطعة وهي ضريبة تجبى بمقتضى اتفاقات معينة بين الحكومة والخاصة[3].

وفي العصر العباسي الثاني، اهتمّ الخلفاء العباسيون بالخراج وطرق جبايته ومواعيده، حتى وضعوا لكل ولاية ديواناً للخراج تابعاً ومرتبطاً بالديوان الرئيسي في بغداد أو سامراء، وكان عيد النوروز موعداً لجباية الخراج وجمعه[4].

ولقد اختلفت مواعيد جباية الخراج بين الأمراء البويهيين، فكان معز الدولة وابنه بختيار يأمرون بجباية الخراج قبل نضج المحاصيل الزراعية، فعانى المزارعون من هذا الإجراء غير الشرعي.

ومن الملاحظ، كانت جباية الخراج تتم والزرع أخضر قبل نضوجه، وهذا ما أدّى إلى ضيق حال الفلاح، مما اضطر الكثير من الفلاحين إلى هجر قراهم، هرباً من ظلم الجباة.

---

[1] أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد سنة (95هـ / 713م)، وتولّى الخلافة سنة (136هـ / 753م)، وتوفي سنة (158هـ / 774م)، ابن أبي السرور، (علي بن محمد، ت 648هـ / 1250م): بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ط، د.ت، ص106.

[2] أيوب، (إبراهيم): التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1989م، ص236.

[3] حسن: تاريخ الإسلام، ج3، ص299.

[4] أيوب: التاريخ العباسي، ص237.

ويبدو أنّ طريقة الجباية في الدولة البويهية كانت قاسية، وقد أسيء للفلاح في جبايتها، وظهرت ضرائب جديدة لم تكن موجودة، كما تمت مصادرة أموال الفلاحين، فقد زادت في بعض الأحيان عن المقدار المفروض 10%.

وعندما تولّى الأمير عضد الدولة الحكم في العراق سنة (367هـ / 977م)، قام بإعادة تحديد موعد جباية الخراج أثناء نضج المحاصيل الزراعية، وأمضى للرعية الرسوم الصحيحة، وألغى الزيادات والتأويلات[1].

مما كان له أكبر الأثر في نفوس الناس التي كانت مستاءة من طريقة جبايتها، وأساليب معاملة الجباة لهم، والذين كانوا مهددين بترك أراضيهم.

وبالرغم من إصلاحات الأمير البويهي عضد الدولة، فقد قام برفع ضريبة الخراج إلى أكثر (10%) بسبب حاجته للأموال، ولقد رأى الوزراء بأن يُجبى الخراج أحياناً قبل نضوج المحاصيل الزراعية عند الحاجة الملحّة للأموال كدفعة أولى، ويُجبى باقي الخراج عند حلول الموسم[2].

وقد كانت ضريبة الخراج تساهم بشكل كبير في مختلف العصور، في إغناء خزينة الدولة البويهية حيث ذكر المقدسي بأنه: ((قرأ في خزانة عضد الدولة مقدار أثمان خراج السواد ستة وثمانون ألف ألف وسبعمائة ألف وثمانون ألف درهم، ومن أبواب المال أربعة آلاف ألف وثمانية آلاف درهم، وخراج دجلة ثمانية آلاف ألف وخمسمائة ألف درهم))[3].

هذا وإن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الخراج شكّل رافداً قوياً لخزينة الدولة، وشكّل أحد أهم مقومات الاقتصاد لديهم.

ب- الجزية:

الجزية هي ضريبة تُفرض على أهل الذمة من النصارى واليهود[4] وهم أهل الكتاب، وكانت تفرض على شبهة الكتاب مثل المجوس، وكانت تسقط الجزية في حال إسلام الذمي، وهي مشتقة من الجزاء بمعنى جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً أو جزاء على

[1] ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص448-449.
[2] الروذراوري: ذيل تجارب، ص46؛ الدوري: تاريخ العراق، ص215.
[3] المقدسي: أحسن التقاسيم، ص140.
[4] الفرّاء: الأحكام، ص153؛ ابن منظور: لسان العرب، ج14، ص146.

الأمان لهم لأخذها منهم رفقاً، وكانت تؤخذ من الرجال الأحرار العقلاء، ويراعى الوضع المادّي فالفقير يدفع اثنا عشر درهماً، ومتوسط الحال أربعة وعشرون درهماً، وميسور الحال ثمانية وأربعون درهماً[1].

وفي العصر البويهي تحيداً سنة (366هـ /976م)، قام الخليفة العباسي الطائع لله (363-381هـ / 973-991م)[2] بإلغاء الجزية لكل من النساء، والصغار الذي لم يبلغوا الحلم، والفقير، وكبير السن، وأصحاب العاهات، والراهب المتزهّد، وكان البويهيون أثناء دفع الجزية يقومون بإعطاء وثيقة تثبت دفعه للجزية، وقد حددوا بأن تجبى الجزية من أهل الذمة في شهر محرم من كل سنة[3].

د-العشور:

العشور جمع عشر، وفي الحديث ليس على المسلمين عشور إنما العشور على اليهود والنصارى، يعني ما كان من أموالهم للتجارات دون الصدقات، والعشّار قابض العشر[4].

وفي عهد الأمير صمصام الدولة (372-376هـ / 982-986م)[5]، وتحديداً سنة (373هـ / 983م)، فُرضت ضريبة العشر على أرزاق وأموال الأولياء والكتّاب والحواشي[6].

ولم يمضي على حكمه سوى سنتين وتحديداً سنة (375هـ /985م)، حتى قام بفرض ضريبة على الثياب الأبريسميات والقطنيات في بغداد ونواحيها ضريبة مقدارها عشر الثمن، الأمر الذي أدّى إلى عصيان واضطراب السكان، فكانت المعالجة بأن تم إعفائهم من دفعها[7].

---

[1] الفراء: الأحكام، ص154-155.

[2] الطائع لله عبد الكريم بن المطيع الفضل بن المقتدر، تولّى الخلافة سنة (363هـ / 973م)، وعُزل عن الخلافة سنة (381هـ / 991م)، وتوفي سنة (393هـ / 1002م)، ابن الساعي، (علي بن أنجب، ت 674هـ / 1275م): مختصر أخبار الخلفاء، المطبعة الأميرية، مصر، ط1، د.ت، ص84؛ الذهبي، (محمد بن أحمد، ت 748هـ / 1347م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، و إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983م، ج15، ص118-126.

[3] حسن: تاريخ الإسلام، ج3، ص303.

[4] ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص570.

[5] صمصام الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، تولّى العراق سنة (372هـ / 982م)، وقبض عليه أخيه شرف الدولة سنة (376هـ / 986م)، الذهبي: سير أعلام، ج16، ص385.

[6] الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص54.

[7] ابن الجوزي: المنتظم، ج14، ص311؛ ابن الأثير: الكامل، ج7، ص425.

مما أدى إلى هدوء الأحوال وتراجع صمصام الدولة عن هذه الضريبة، التي رأى فيها الناس ضرباً من ضروب الظلم والإجحاف بحقهم.

هـ-الفيء والغنيمة:

الفيء: الأموال التي تجبى من المشركين من دون قتال.

الغنيمة: الأموال التي تجبى من المشركين قهراً.

ونص الكتاب على خمس الفيء[1].

ولم يكن لهذه الضريبة أثر واضح في عصر الدولة البويهية، حيث لم تحمل المصادر والمراجع أي إشارة إلى هذا النوع من الضريبة.

و-المكوس:

المكس: الجباية، والمكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق.

والماكس: العشّار، ويقال للعشّار صاحب مكس، والمكس: ما يأخذه العشّار.

المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وأصله الجباية، وهو انتقاص الثمن في البياعة، ومنه أُخذ المكاس لأنه يستنقصه.

ومكس الشيء: نقص، ومُكس الرجل: نُقص في بيع ونحوه[2].

حيث فرض الأمراء البويهيون على ما يُدخله أو يُخرجه الحجاج من بضائع ضريبة المكوس، وكان بعض الأمراء يقومون بإلغائها[3]، ويعود تقدير هذا الأمر لخزينة بيت المال.

ز-ضريبة الخمس:

تعدّ من موارد بيت المال، وكانت تؤخذ على ما يستخرج من بطن الأرض وجوف البحر من اللؤلؤ والعنبر، فهي أخماس المعادن[4].

ح-الإرث:

من موارد بيت المال، وكانت تؤخذ من تركة من يموت دون أن يترك وارثاً له[1]، وظهرت لأول مرة في خلافة المعتمد (256-279هـ / 869-892م)[2]، فكان الخلفاء

[1] الماوردي: الأحكام السلطانية، ص161.
[2] ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص220-221.
[3] الدوري: تاريخ العراق، ص224.
[4] أيوب: التاريخ العباسي: ص238.

العباسيين تارة يعملون بها، وتارة أخرى يقوم بعضهم بإلغائها، إنها تعد من الضرائب الغير مشروعة.

أمّا في العصر البويهي، فقد اعتمد الأمراء البويهيون على ضريبة الإرث حسب حاجتهم للأموال، وما تقتضيه مصلحتهم الشخصية، حيث تعد هذه الضريبة من الضرائب غير الشرعية وليس لها سند فقهي أو قانوني، فلا يجوز أن تفرض الدولة ضريبة على الإرث، أو أن تضع يدها عليه، إلا في حال لم يكن للمتوفى وارث شرعي.

فقد قام الأمير البويهي معز الدولة بالاستيلاء على تركة رجل متوفّى، وفي عهد الأمير بهاء الدولة أحمد البويهي (379–403هـ / 989–1012م)[3] أخذ البويهيون مبلغاً كبيراً من تركة رجل متوفّى، على أن يوزّع الباقي من التركة على ورثة المتوفّى[4].

ط– ضرائب مستحدثة:

أرهق البويهيون السكان بالضرائب، واستحدثوا ضرائب جديدة لحاجتهم للأموال، حيث قام الأمير البويهي عضد الدولة بزيادة المساحة في الأراضي بمقدار العشر على المساحة الأصلية للأرض، وجعله رسماً جارياً، وأحدث جبايات لم تكن ورسوم معاهدات لم تعهد، وأدخل يده في جميع الأرجاء، وجبى ارتفاعها وجعل لأهلها شيئاً منه، وكثر الظلامة من ذلك.

وعندما تولّى الأمير البويهي صمصام الدولة قام بإزالة ما فرضه عضد الدولة، وأطلق الارتفاع للملّاك، وجعل للمراعي وفرائض الصدقات ديواناً، وأفرد له عمّالاً وكتّاباً وجهابذة، وقرر على أسواق الدواب والحمير والجمال عما يباع فيها من جميع ذلك، وزاد على ضرائب الأمتعة الصادرة والواردة، وحظر عمل الثلج والقز وجعلهما متجراً للخاص[5].

---

[1] حسن: تاريخ الإسلام، ج3، ص304.

[2] المعتمد أحمد أبو العباس بن المتوكل، ولد سنة (229هـ/ 843م)، وبويع بالخلافة سنة (256هـ / 869م)، وتوفي في بغداد سنة (279هـ / 892م)، ابن عبد ربه: العقد، ج5، ص381.

[3] بهاء الدولة أحمد أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه، تولّى حكم العراق سنة (379هـ / 989م)، وتوفي سنة (403هـ / 1012م)، الذهبي، (محمد بن أحمد، ت 748هـ / 1347م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983م، ج17، ص185.

[4] الدوري: تاريخ العراق، ص220-222.

[5] الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص46-47.

وقد ذُكر سابقاً، أنه في عهد الأمير صمصام الدولة، سنة (373هـ / 983م)، فُرضت ضريبة العشر على أرزاق وأموال الأولياء والكتّاب والحواشي[1].

وعادت ضريبة الثياب القطنية، وفرضت على السكان مرة أخرى، فضجّوا منها، وثاروا سنة (389هـ/998م)، ولكن دون جدوى[2].

وفي عهد الأمير جلال الدولة فيروز البويهي (416–435هـ / 1025–1043م)[3] فُرضت ضرائب ظالمة منها جباية سوق الدقيق، ومقالي الباذنجان وغيرها وذلك سنة (421هـ / 1030م)[4].

وفي سنة (425هـ /1033م)، ألغى الأمير البويهي جلال الدولة ضريبة الملح، حيث كانت هذه الضريبة سائدة[5]، ويبدو أن هذه الضريبة كانت من الضرائب غير الشرعية أو الزائدة عن الحد، ولم تلاق استحساناً من السكان ، لذا بادر الأمير جلال الدولة البويهي إلى الغائها.

عاشراً : أثر الضرائب على المجتمع:

يبدو أنّ النظام الاقطاعي المفروض من قبل السلطة البويهية، والمتنفذين من ملّاك الأراضي والجند، قد أرهقوا الفلاحين بجباية الضرائب والضغط عليهم، ما انعكس سلباً على حال الفلاح وأدى بالتالي إلى تخريب الأراضي الزراعية وإهمال شؤون الزراعة، وانتشار الفقر والجوع، وانتشار الوفيات والأمراض بين المزارعين.

لكن في عهد عضد الدولة البويهي عمد إلى تحسين الأوضاع عمّا كانت عليه في عهد معز الدولة وابنه بختيار، حيث قام بالاهتمام بالزراعة وخفّف الضرائب وألغى بعضها، وحدّد موعد جباية الخراج أثناء نضوج المحاصيل الزراعية، لكنه في أواخر حياته

[1] الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص54.
[2] الصابي، (هلال بن المحسن، ت 448هـ / 1056م): تاريخ الصابي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج7، ص4.
[3] جلال الدولة أبو طاهر فيروز جرد بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، تولّى العراق سنة (416هـ / 1025م)، وتوفي سنة (435هـ / 1043م)، الذهبي: سير أعلام، ج17، ص577.
[4] ابن الأثير: الكامل، ج8، ص193.
[5] ابن الجوزي: المنتظم، ج15، ص240.

فرض ضرائب لم تكن موجودة على السكان فانتشر الظلم[1]، ومن الطبيعي أن يؤدّي ذلك إلى تذمّر السكان، وانتشار للفقر والجوع ورحيل للسكان.

أدّت الضرائب المفروضة في عهد عضد الدولة، إلى تذّمر السكان الأمر الذي أدّى إلى إلغائها من قبل الأمير صمصام الدولة البويهي، لكنّه سرعان ما فرض ضرائب جديدة وزاد رسوم ضرائب قديمة وهذا ما حدث سنة (375هـ/ 985م)، عند فرض ضريبة على الثياب، الأمر الذي أدّى إلى عصيان السكان في جامع المنصور وقطعهم للصلاة، حتى اضطر الأمير صمصام الدولة إلى إلغائها[2].

لم تؤدّ كثرة الضرائب إلى انتشار الفقر والجوع فقط، بل أدّت إلى حدوث مناوشات وحدوث ثورات من قبل العامة اشتبكوا فيها مع الجند، تعبيراً عن رفضهم لهذه الضرائب، مطالبين بإلغائها، لكنّ هذه الثورات كانت تقابَل بالقمع وإبقاء الضريبة على ما عليها، ففي سنة (373هـ / 983م)، ثار العامة ومعهم الديلم معبّرين عن استيائهم لضريبة العشر المأخوذة من أرزاق وأموال الأولياء والكتّاب والحواشي، حتى تدخل الأمير صمصام الدولة البويهي وقمعهم[3]، وفي سنة (389هـ /998م)، ثار السكان في بغداد على الضريبة المفروضة على الملابس القطنية، وقاموا بقطع الصلاة ومنعوا الخطبة، وقاموا بإضرام النيران في دار الوزير أبو نصر سابور[4]، لكن هذا التذمّر قوبل بالقمع، وإبقاء الضريبة على حالها[5].

ثار العامة واشتبكوا مع الجند سنة (421هـ /1030م)، بسبب ما فُرض من ضرائب ورسوم ظالمة، منها جباية سوق الدقيق، ومقالي الباذنجان وغيرها[6].

وعانى السكان من ضريبة الملح المفروضة عليهم، حتى قام الأمير جلال الدولة بإلغائها سنة (425هـ/1033م)[7].

---

[1] الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ج46؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج14، ص291.
[2] الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص47؛ ابن الأثير: الكامل، ج7، ص425.
[3] الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص54.
[4] أبو نصر سابور بن أردشير، وزير الأمير البويهي بهاء الدولة، توفي سنة (416هـ / 1025م)، الذهبي: سير أعلام، ج17، ص387.
[5] الصابي: تاريخ الصابي، ج7، ص4.
[6] ابن الأثير: الكامل، ج8، ص193.
[7] ابن الجوزي: المنتظم، ج15، ص240.

ومن الملاحظ أنّ الضرائب كان لها الدور الأساسي في موارد السلطة البويهية، مما كان له الأثر الكبير في النهضة الاقتصادية للدولة البويهية، وانعكست آثارها الإيجابية على مختلف نواحي الحياة العمرانية والثقافية وحتى العسكرية منها.

وبطبيعة الحال كان الخليفة العباسي مجرّد من صلاحياته، ولم يكن له أي دور في الحياة السياسية والاقتصادية، والمتحكم الفعلي كان الأمير البويهي صاحب الحل والعقد في الحياة العامة، وبقي الخليفة العباسي مجرد اسم صوري.

الحادي عشر : النتائج:

1- استمر النظام الضريبي المعمول به ضمن الدولة العربية الإسلامية بمختلف مراحلها سواء كانت شرعية أم غير شرعية مع استحداث أنواع جديدة في عصر الدولة البويهية.

2- أرهق البويهيون السكان بفرض ضرائب جديدة، ورفع مقدارها وهذا ما أدّى إلى حدوث ردّات فعل عكسية من قبل السكان الذين أرهقتهم تلك الضرائب وزادت من معاناتهم.

3- اتبع البويهيون نظام الاقطاع العسكري بدلاً من دفع الرواتب للجند، مقابل دفع الجند الضريبة عن إقطاعاتهم.

4- أدّى النظام الإقطاعي الذي اعتمده البويهيون إلى تدمير وتخريب الزراعة بسبب إهمال المقطعين لإقطاعاتهم.

5- ظلم وتعسف الجند في إقطاعاتهم أدّى إلى إرهاق السكان، ورحيل قسم من الفلاحين.

6- تراجع بعض الأمراء البويهيين عن بعض الضرائب نتيجة للثورات وتذمّر السكان.

7- أمّنت الضرائب المفروضة موارد ثابتة للدولة البويهية وهذا بدوره انعكس على الحياة الاقتصادية بشكل عام

الثاني عشر: الخاتمة :

قامت الدولة البويهية بفرض الضرائب وجبايتها كمورد للخزينة المالية، ولتأمين نفقات الدولة بشقيها المدني والعسكري، وكانت خزينة الدولة عامرة وهذا ما انعكس على أوضاع الدولة البويهية التي تميزت بالرفاه الذي انعكس على الحياة العمرانية والثقافية التي شهدت نشاطا ملحوظا وإقبالا وتشجيعا من قبل الأمراء البويهيين.

وأثناء فراغ الخزينة كانوا يقومون بفرض ضرائب جديدة أو رفع مقدار الضريبة، فأثّر هذا الأمر بشكل سلبي على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وبخاصة الزراعة بسبب إهمال الجند لإقطاعاتهم، ورحيل قسم من الفلاحين بسبب سوء المعاملة من قبل الملّاكين، أو من قبل الجباة.

كما أثّرت الضرائب على المجتمع وأرهقت السكان، وكثيراً ما شكّلوا تمرّداً أو عصياناً لإلغاء ضريبة، أو لتخفيض قيمتها المفروضة.

من الملاحظ إذاً أن الحكام البويهيين من خلال دراسة الجانب الاقتصادي وتحليل الضرائب المتبعة، أنهم لم يشذوا كثيراً عن سابقيهم، ولا عن لاحقيهم، بل مضوا في نفس الإطار، وهو تحصيل المال ورفد خزينة الدولة أو تمويل حروبهم أو تحقيق منافعهم و مكاسبهم الشخصية بأي شكل وبأي طريقة وإن كان هذا الأمر قد أضر بنمط الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان بشكل عام، فالأمر الأساسي لديهم هو التحصيل والزيادة.

قائمة المصادر:

ابن الأثير، علي بن محمد، ت (630هـ / 1233م):

1- الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1987م .

الجاحظ، عمرو بن بحر، ت(255هـ / 868م):

2- البخلاء، تح: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ت (597هـ / 1200م):

3- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995م.

ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي، ت (654هـ / 1256م):

4- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: زاهر اسحاق، وفادي المغربي، وعمار ريحاوي، دار الرسالة العلمية، بيروت، ط1، 2013م.

الحموي، ياقوت بن عبد الله، ت (626هـ / 1229م):

5- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت .

ابن حوقل، أبو القاسم محمد،(ت 367هـ / 977م):

6- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، 1992م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد، ت (681هـ / 1282م):

7- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

الذهبي، محمد بن أحمد، ت (748هـ / 1347م):

8- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.

سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983م.

الروذراوري، محمد بن الحسين، ت (448هـ / 1095م):

9- ذيل تجارب الأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

ابن الساعي، علي بن أنجب،(ت 674هـ / 1275م):
10- مختصر أخبار الخلفاء، المطبعة الأميرية، مصر، ط1، د.ت.
ابن أبي السرور، علي بن محمد، ت (648هـ / 1250م):
11- بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ط، د.ت.
ابن السلام، أبو عبيد القاسم، ت(224هـ / 838م):
12- الأموال، تح: أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدي النبوي، القاهرة، ط1، 2007م.
الصابي، هلال بن المحسن، ت(448هـ / 1056م):
13- تاريخ الصابي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
ابن الطقطقا، محمد بن علي، ت(709هـ / 1309م):
14- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.م، د.ط، د.ت.
ابن الطولوني، الحسن بن حسين، (ت 923هـ / 1517م):
15- النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية، تح: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.
ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، (ت 328هـ / 939م):
16- العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.
الفرّاء، محمد بن الحسين، ت(458هـ / 1065م):
17- الأحكام السلطانية، علّق عليه: محمد حامد الفيقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 2000م.
الماوردي، علي بن محمد، ت(450هـ / 1058م):
18- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط1، 1989م.
ابن مسكويه، أحمد بن محمد، ت(421هـ / 1030م):
19- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

المقدسي، محمد بن أحمد، ت(380هـ / 990م):

20- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، قدّم لها: شاكر لعيبي، دار السويدي، أبو ظبي، ط1، 2003م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، ت(711هـ / 1311م):

21- لسان العرب، دار صادر، بيروت، د،ط، د.ت.

الهمذاني، أحمد بن محمد، ت (340هـ / 951م):

22- البلدان، تح: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1996م.

اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، ت بعد (292هـ / 905م):

23- البلدان، مطبع بريل، ليدن، د.ط، د.ت.

قائمة المراجع:

أيوب، إبراهيم:

1- التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1989م.

حسن، حسن ابراهيم:

2- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط14، 1996م.

الدوري، عبد العزيز

3- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، دار المشرق، بيروت، ط2، 1974م.

-دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مكتبة السريان، بغداد، د.ط، د.ت.

الزركلي، خير الدين:

4- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

العفيفي، عبد الحكيم:

5- موسوعة 1000 مدينة إسلامية، أوراق شرقيات، بيروت، ط1، 2000م.

منيمنة، حسن:

6- تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مقاطعة فارس، الدار الجامعية، د.م، د.ط، 1987م.

واصف، أمين:

7- الفهرست – معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، مر: أحمد زكي، هنداوي، القاهرة، د.ط، د.ت.

معطيات حقلية جديدة حول البركنة خلال دور الجوراسي في جنوب الجبال الساحلية السورية

الدكتور سعيد إبراهيم*

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة عملية البركنة التي حصلت خلال دور الجوراسي، والتي تتكشف السوية البازلتية الناتجة عنها حالياً في منطقتين متباعدتين نسبياً من جنوب الجبال الساحلية السورية؛ هما: منخفض بلعة (الواقع جنوب غرب الجويخات)، ومنخفض الرصافة (على طريق مصياف). حيث تتكشف في هاتين المنطقتين سوية محدودة الانتشار من الصخور البازلتية التي تتواجد غالباً بأشكال كروية متفسخة بشدة، وتختلط المواد البازلتية أحيانا مع حصى، وقطع صخرية كلسية. وتحيط بهذه السوية البازلتية طبقاتٌ سميكةٌ من صخور كلسية، وكلسية دولوميتية تعود بعمرها إلى الدور الجوراسي.

إن اكتشاف أماكن وجود هذه السوية البازلتية وتحديدها في جنوب سلسلة الجبال الساحلية السورية يقدم أفقاً جديداً لتاريخ البركنة في المنطقة، ويشير إلى أن عمليات البركنة التي كانت قد حدثت في المناطق الجنوبية من حوض الجوراسي البحري، وأدت إلى تشكل سوية البازلت في مقطع عرنة (الحرمون)، ومستوى بحنس البازلتي في لبنان، كانت قد امتدت أيضاً إلى الشمال، حيث تم حقن المواد البركانية عبر الفوالق العميقة لتندفع خلال صخور الجوراسي وتشكل صباتٍ بازلتيةً محدودة الانتشار ذات بنية وسائدية أحياناً.

الكلمات المفتاحية: سوية بازلتية – دور الجوراسي – الجبال الساحلية السورية – منخفض بلعة – منخفض الرصافة.

* أستاذ مساعد في قسم الجغرافيا (اختصاص جيولوجيا)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، سوريا.

New field data related with volcanism through Jurassic period in the southern part of Syrian coastal chain

Dr. Said Ibrahim*

ABSTRACT

This research aims to study volcanic operation, happened through Jurassic period, from which the present Basaltic level, uncover in 2 areas relatively diverging in the southern part of Syrian coastal chain named (Balaa and Rassafe) depressions. In this 2 areas uncover a limited spreading of Basaltic rocks, which situated generally in strongly crumbled global forms mixed sometimes with gravel and a pieces of limestone. This Basaltic level has surrounded with a thick Jurassic limestone and dolomitic-calcareous.

By discovering and definition the situation of this Basaltic level in the southern part of Syrian coastal chain, we presented a new achievement for the volcanic history in this area, this indicate that volcanic operations, which happened in the southern parts of the marine Jurassic basin led to forming a Basaltic level in Irna "Haramoun" section and Behness "Lebanon", in the other side it extended to the north, where had injected a volcanic materials through the faults to rush into Jurassic rocks forming limited spreading Basaltic covers.

keywords: Basaltic level − Jurassic period − Syrian rift zone – Balaa depression - Rassafe depression.

* Associate Professor (geologist) in the Department of Geography, Faculty of Arts and Humanities; Tartous University, Syria.

مقدمة:

تُعَدُّ المنطقة الانهدامية الواقعة غربَ سوريا من المناطق النشطة تكتونياً، ومن الطبيعي أن يترافق هذا النشاط التكتوني مع حدوث اندفاعاتٍ ونشاط بركاني. فمنذ بداية دور النيوجين أخذت الفوالق الإقليمية في غرب سوريا بالتشكُّل، ولقد ترافق ذلك مع حدوث انكسار في الصفيحة الإفريقية أدى إلى تشكل البحر الأحمر وانفصال الصفيحة العربية عن الصفيحة الإفريقية. ولقد ترافق تشكُّل المنطقة الانهدامية في غرب سوريا مع اندفاعات بركانية حدثت خلال النيوجين الأعلى (البليوسين)، وأدت إلى تشكل سماكةٍ كبيرةٍ من الصبَّات البازلتية في منطقة هضبة شين، وشمال سهل الغاب، وجبل الزاوية [1]. كما شمل هذا النشاط البركاني البليوسيني المناطق الجنوبية والوسطى من سلسلة الجبال الساحلية السورية [2] [3].

بالإضافة إلى ذلك فإن النشاط البركاني في المناطق الغربية من سوريا لم يقتصر على هذه الفترة فقط (البليوسين). بل كان قد حدث اندفاع بركاني خلال الكريتاسي الأسفل أيضاً أدى إلى تشكل سوية بازلتية بسماكة تتراوح بين 10 – 15 م، وذلك ضمن طبقات طابق الألبيان [4]. حيث يمكن مشاهدة هذه السوية حالياً على جوانب الأودية النهرية في المناطق الجنوبية من سلسلة الجبال الساحلية السورية، وذلك اعتباراً من مدينة القدموس شمالاً، وحتى مدينة الدريكيش جنوباً.

أما النشاط البركاني الذي يعود إلى فتراتٍ أقدمَ عمراً من الكريتاسي الأسفل فلم يُسجَّل وجودٌ له في جنوب سلسلة الجبال الساحلية السورية. ولكن تم العثور عليه في مناطق أخرى تقع إلى الجنوب من هذه السلسلة. فَعُثِرَ ضمن طبقات الجوراسي على مستوى بحنس البازلتي في بعض مناطق جبال لبنان [5]، وعلى سوية من البازلت ضمن طبقات الجوراسي في مقطع عرنة [6].

منطقة البحث: تم إجراءُ البحث على منطقتين صغيرتين من ناحية المساحة، ومنفصلتين جغرافياً عن بعضهما بمسافة تبلغُ 21 كم (شكل 1). ولكنهما متشابهتان في بعض النواحي التي دفعتنا إلى دراستهما في بحث واحد. وتقع المنطقة الأولى إلى الجنوب الغربي من بلدة الجويخات بحوالي 3 كم، وتسمى محلياً بلعة (أو منخفض بلعة)،

وإحداثيات مركزها الجغرافي هي 04″. 51′. 34°، شمالاً، و 40″. 16′. 36°، شرقاً. أما المنطقة الثانية فهي المنخفض الذي تقع فيه قرية الرصافة (طريق مصياف وادي العيون)، والتي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة مصياف بحوالي 5 كم. وإحداثيات مركزها الجغرافية هي 04″. 02′. 35°، شمالاً، و 06″. 18′. 36°، شرقاً.

إن الشيء الرئيسيَّ الذي يجمع بين هاتين المنطقتين المدروستين من الناحية الجيولوجية هو وجود سوية بازلتية محدودة الانتشار في كليهما. حيث يكون البازلت في هاتين المنطقتين متفسخاً بشدة، ويحوي في داخله كساراتٍ، وقطعً من الصخور الكلسية مختلفةَ الأحجامِ والأشكالِ. بالإضافة إلى وقوعهما داخل صخور الجوراسي.

أما من الناحية الجغرافية فتتميز المنطقتان بوقوعهما في القسم الجنوبي من سلسلة الجبال الساحلية السورية، وقربهما من مناطق القمم المرتفعة من هذه السلسلة. حيث تقع المنطقة الأولى (منخفض بلعة) إلى الغرب من خط الذرى، في حين يقع منخفض الرصافة إلى الشرق من هذا الخط. بالإضافة إلى ذلك فان كلا المنطقتين تتميزان بموقعهما القريب نسبياً إلى الغرب من خط الانهدام السوري (شكل 1).

الدراسات السابقة: أجريت في المنطقة العديد من الدراسات الجيولوجية والجيومورفولوجية السابقة. منها: الدراسات التي قام بها لويس دوبرتريه للأراضي السورية واللبنانية خلال فترة الانتداب الفرنسي [5]. كما أجريت دراسات جيولوجية في المنطقة من قبل بونيكاروف وفريقه خلال الفترة الزمنية 1958 – 1963 م، والتي انتهت بوضع مجموعة من الخرائط الجيولوجية للأراضي السورية بمقياس $\frac{1}{200.000}$، و $\frac{1}{500.000}$، ومذكراتها الإيضاحية [7].

كما قامت مجموعة من الجيولوجيين السوريين العاملين في المؤسسة العامة للجيولوجيا بمسح جيولوجي للسلسلة الساحلية السورية وذلك خلال الأعوام 1971 – 1984 م، وضعت بنتيجتها خرائط جيولوجية لهذه المنطقة بمقياس $\frac{1}{50.000}$ مع مذكرتها الإيضاحية [4]. حيث تقع إحدى المنطقتين المدروستين (منخفض بلعة) ضمن الخريطة الجيولوجية العائدة لرقعة قلعة الحصن، ولكن هذه الدراسة لم تلحظ وجود السوية البازلتية

في تلك المنطقة. أما المنطقة الثانية (منخفض الرصافة) فتقع ضمن الخريطة الجيولوجية لرقعة مصياف، وتم نتيجة هذه الدراسة تحديد عمر السوية البازلتية في هذه المنطقة بأنها تعود إلى فترة النشاط البركاني البليوسيني.

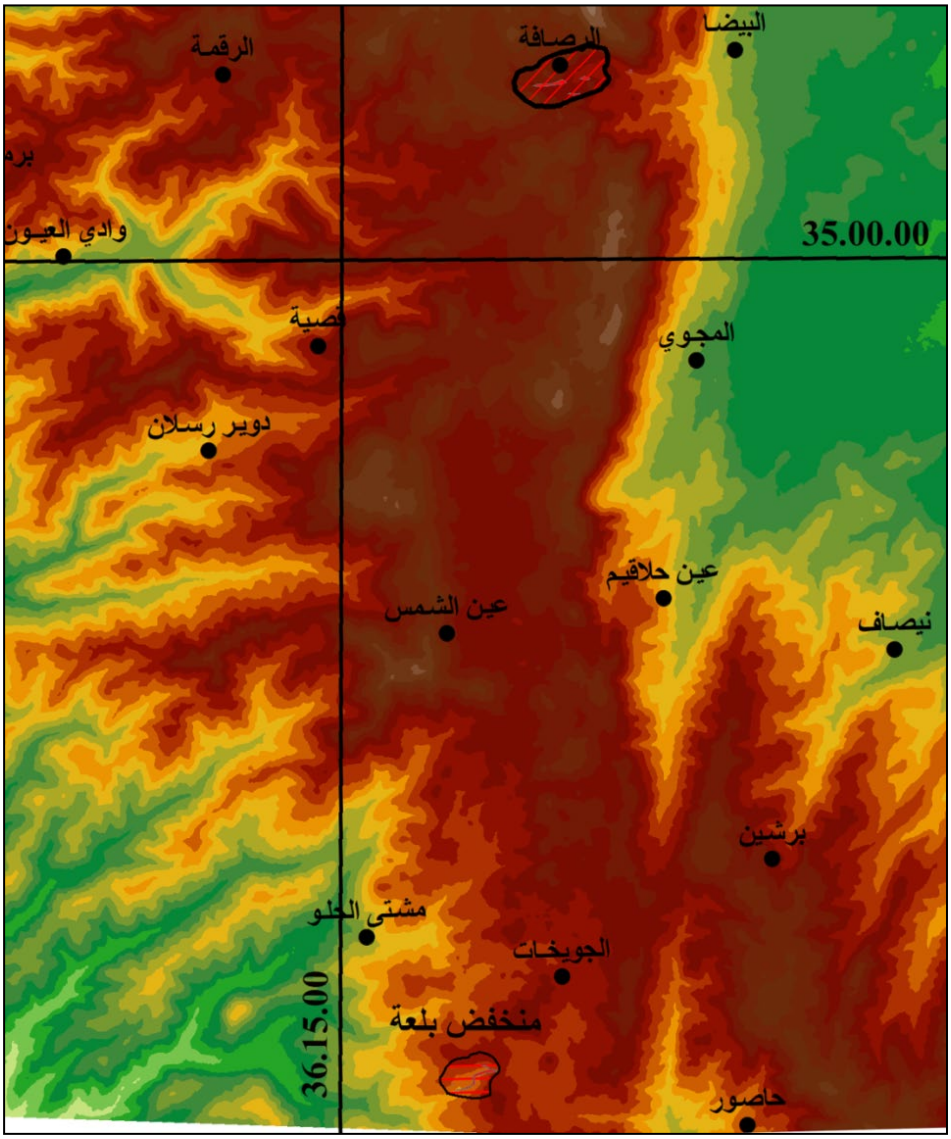

الشكل رقم 1: يوضح موقع المنطقتين المدروستين، وتضاريسهما، وأهم التجمعات السكانية. وتم الحصول على الصورة باستخدام نموذج الارتفاع الرقمي (DEM)، دقة 12.5 متر (فارق الارتفاعات بين الدرجات اللونية 100 متر).

حيث جاء في المذكرة الإيضاحية لرقعة مصياف (أن التوضعات البركانية البليوسينية في منطقة الرصافة تتألف من بيروكلاستيك معاد الترسيب، ويتكون من قطع رسوبية من الجوراسي الأوسط ضمن قطع بازلتية مؤلفة من بازلت طازج يحتوي على بلورات من البيروكسين والبلاجيوكلاز الصودي – الكلسي والهونبلاند) [8]. ولكن هذه الدراسة لم توضح مصدر هذا البازلت، ولم تفسر عدم وجوده في مناطق أخرى مجاورة كان قد تم نقله إليها.

كما أجريت في المنطقة العديد من الدراسات الأخرى، منها الدراسة التي قام بها الدكتور ميخائيل معطي لتشكيلات الجوراسي في السلسلة الساحلية، حيث قام بدراسة ليتولوجية وميكروباليونتولوجية للجوراسي في السلسلة الساحلية وتوصل إلى معطيات ستراتغرافية جديدة تسمح بتمييز الطوابق، واقترح تقسيمات جديدة لتشكيلات ضمن الزمرة الرسوبية للمنطقة (مثل تشكيلة الجويخات، وتشكيلة طريز)، [9].

إشكالية البحث: يعالجُ البحثَ موضوع السوية البازلتية المحدودة الانتشار غير المدروسة سابقاً، والتي اكتشف الباحث وجودها حديثاً في منخفض بلعة. كما يقوم بالربط بين هذه المنطقة ومنطقة أخرى معروفة بوجود البازلت فيها سابقاً هي منخفض الرصافة، ولكن البازلت في المنطقة الثانية (منخفض الرصافة) كان قد درس بناء على أنه بازلت بليوسيني معاد ترسيبه، مع أن كل الدلائل الحقلية تشير إلى تشكُّلهُ في المكان.

أهداف البحث:

1. تحديد الخصائص الحقلية لانتشار السوية البازلتية في المنطقة المكتشفة حديثاً من قبل الباحث ودراستها (منخفض بلعة)، وفي المنطقة المعروفة سابقاً (الرصافة).
2. دراسة العلاقة بين صخور هذه السوية البازلتية وطبقات الصخور الجوراسية الرسوبية المحيطة بها.
3. القيام بوضع تفسير علمي لتحديد منشأ السوية البازلتية في المنطقتين المدروستين. وإجراء مقارنة بينها وبين الصخور البازلتية النيوجينية المنتشرة بكثرة في المنطقة.

مناهج البحث: تطّلبَ تنفيذُ البحث إتباع المنهجين الميداني والاستنتاجي وذلك لدراسة أماكن تكشف السوية البازلتية في المنطقة، وتاريخ تطورها التكتوني والبركاني، وتشكّل الطبقات الصخرية. بالإضافة إلى المنهج الرقمي الجديد الذي يعتمد على دراسة صور الارتفاع الرقمي (Dem)، وبرنامج (Google Erath Pro)، وبرنامج (G I S).

أدوات البحث ومواده: تم الاعتماد على جملة من المعطيات والبيانات المتوفرة عن المنطقة وهي:

1. خرائط المنطقة الطبوغرافية (رقعتا قلعة الحصن ومصياف) مقياس $\frac{1}{50.000}$.
2. خرائط الرقع السابقة الجيولوجية (قلعة الحصن، مصياف) مقياس $\frac{1}{50.000}$، ومذكراتها الإيضاحية.
3. صور المنطقة المدروسة الرقمية (D. E. M) وتحليلها باستخدام برنامج تحليل الصور الرقمية (Global Mapper 21). والصور الفضائية من خلال الموقع (Google Erath Pro).
4. أدوات العمل الميداني التي استخدمها الباحث أثناء الجولات الميدانية في منطقة الدراسة خلال العام 2020 م (بوصلة جيولوجية، كاميرا تصوير، جهاز G P S).

البنية الجيولوجية للمنطقة المدروسة: نظرا إلى وقوع منطقة الدراسة على الطرف الغربي للمنطقة الانهدامية السورية، وتحديداً في قسمها الجنوبي، ولقربها من الفالق الرئيسي الذي يخترق المنطقة باتجاه شمال – جنوب، فان الصخور التي تتكشف في هذه المنطقة تعود بعمرها إلى الدور الجوراسي (شكل 2 و 3).

تتميز صخور الجوراسي الكلسية في هذه المنطقة بشكل عام بثخانتها الكبيرة، وبلونها المزرقّ، وتتضدها على شكل طبقات ثخينة. وهذه الصفات تميزها بصورة عامة عن صخور الكريتاسي المتوضعة فوقها على شكل طبقات رقيقة نسبياً، ويغلب عليها اللون الأبيض المصفرّ [6]. ونظراً إلى قساوة هذه الصخور المرتفعة، وقربها من خط الفالق الرئيسي، فإنها تكون محطمة بشبكة من الفوالق والشقوق المختلفة الامتداد والاتجاه.

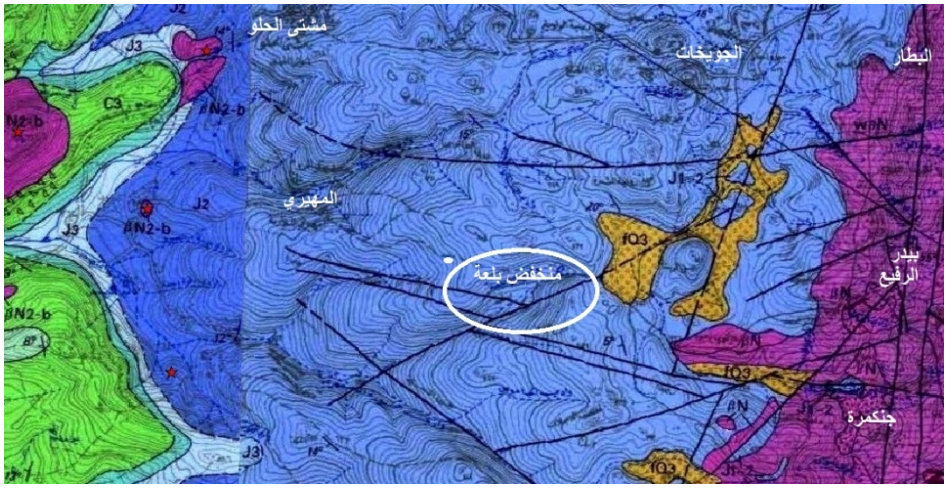

الشكل رقم 2: قسم من رقعة قلعة الحصن الجيولوجية توضح البنية الجيولوجية للمناطق المحيطة بمنخفض بلعة [4].

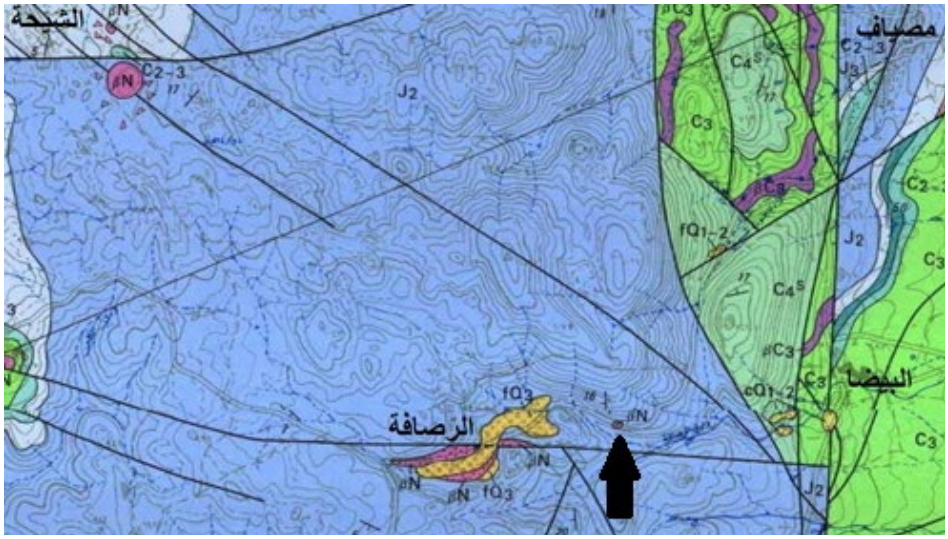

الشكل رقم 3: قسم من رقعة مصياف الجيولوجية توضح البنية الجيولوجية لمنطقة الرصافة [4].

تقسم توضعات الجوراسي في هذه المنطقة إلى وحدتين ليتولوجيتين، تعود الوحدة السفلى من ناحية العمر إلى الجوراسي الأسفل والأوسط. أما الوحدة العليا فتعود بعمرها إلى الجوراسي الأعلى. وتتألف صخور الوحدة الليتولوجية السفلى من تناوب من الدولوميت غير الواضح التطبق، والناعم إلى متوسط الحبيبات، والحجر الكلسي الدولوميتي، مع تداخلات محلية غضارية دولوميتية. وطبقات بريشية ذات منشأ موضعي

[الحصن]. تصل سماكة الجوراسي الأوسط في هذه المنطقة إلى حوالي 200 متر [1]. وبالوصول إلى أعلى التوضعات (باتونيان – كاللوفيان)، تختفي طبقات الدولوميت والحجر الكلسي الدولوميتي، ويحل محلها تدريجياً طبقات من الحجر الكلسي الناعم التبلور ذي اللون الرمادي والرمادي المزرقّ. مع وجود تداخلات رقيقة من المارن والكلس المارني. وهذه الصخور متأثرة بشكل كبير بالكارست نظراً إلى تعرضها لأكثر من دورة جيومورفولوجية كارستية [10].

أما طبقات الجوراسي الأعلى فتكون حدوها العليا مع طبقات الكريتاسي جيدة التمييز، أما حدودها السفلى مع رسوبات الجوراسي الأوسط فغالباً ما تكون مغطاة بركام المنحدرات. وتتألف صخور الجوراسي الأعلى بشكل عام من أحجارٍ كلسية، وكلسية دولوميتية، مع بعض الطبقات المارنية، والمارنية الدولوميتية، كما تحوي أحياناً تداخلاتٍ كلسية بيتومينية رقيقة، وغضار بيتوميني منضد. إن ليتولوجية وسماكة طبقات الجوراسي الأعلى متشابهة بشكل عام في منطقة الجبال الساحلية، وتتراوح سماكتها من 30 – 50 متراً [4].

وبالمتابعة نحو الأعلى في المقطع نشاهد وجود عدم توافق يفصل بين طبقات الدور الجوراسي وطبقات الدور الكريتاسي المتوضعة فوقها، ويعود عدم التوافق زمنياً إلى فترة الطفو وانسحاب بحر الجوراسي عن الأراضي السورية [1]، [6].

الدراسات السابقة للبركنة خلال الدور الجوراسي: إن وجود صخور البازلت التي تدل على حدوث نشاط بركاني خلال الدور الجوراسي في الأراضي السورية هو موضوع ليس بجديد من الناحية العلمية. ففي مقطع الحرمون (منطقة عرنة) تم تحديد وجود سوية من الصخور البازلتية بسماكة حوالي 45 م (شكل 4)، وهي تعود من ناحية العمر إلى الجوراسي الأوسط (طابق الباجوسيان)، [5] [6]. ولكن الدراسة التي قام بها دوبرتريه لم تقدم تقديراً صحيحاً لعمر هذه السوية من البازلت، حيث أعاد الدكتور ميخائيل معطي دراسة المقطع وحدد عمر هذه السوية البازلتية بطابق الليلياس العائد للجوراسي الأسفل [11].

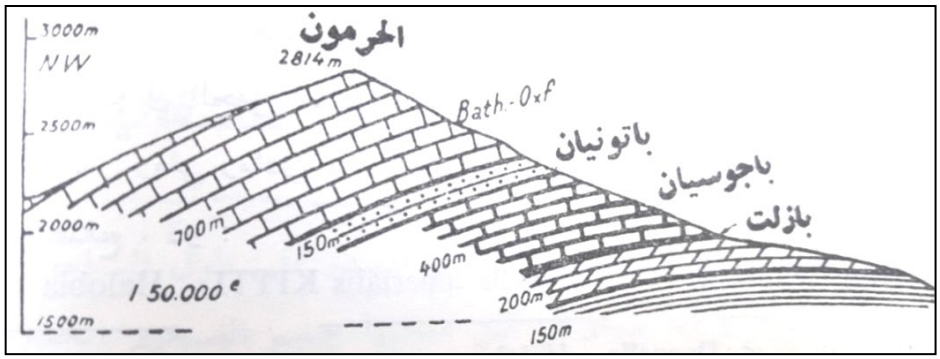

الشكل رقم 4: يوضح وجود سوية البازلت ضمن توضعات الجوراسي في مقطع عرنة (الحرمون) [5].

أما في الأراضي اللبنانية فلقد عثر دوبرتريه في مقطع نهر إبراهيم على مواد بازلتية، حيث كتب في وصف هذا المقطع (ففوق 1300 م من الدولوميا والكلس الممتدين من اللياس حتى الكميردجيان الأدنى، تأتي تشكيلة ذات مواد بازلتية غزيرة، وفوقها يأتي جدار كلسي دولوميتي رمادي اللون مع صوان بسماكة 60 م) [5].

كما عثر دوبرترية أيضاً في ضواحي بكفيا (ضمن طبقات الجوراسي) على مستوى بحنس البركاني الذي يتكشف على طريق بحنس بشكل بازلت متفسخ بأشكال كروية. وهذا المستوى يتوضع في المقطع فوق كلس كسروان، وتحت جدار بكفيا الذي يعود بعمره إلى طابق الكميردجيان (شكل 5). أي إن مستوى بحنس البركاني يعود من ناحية العمر إلى الجوراسي الأعلى [5].

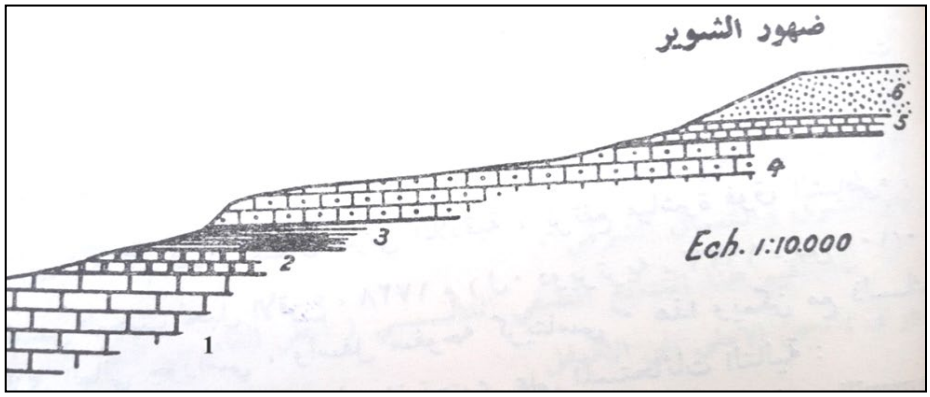

الشكل رقم 5: الأرقام على المقطع: 1 و 2- كلس كسروان (السماكة حوالي 500 م). 3- مستوى بحنس البركاني (السماكة حوالي 20 – 50 م). 4- جدار بكفيا (السماكة حوالي 80 م) [5].

وبذلك يكون دوبرترية قد أشار إلى وجود بازلت الجوراسي ضمن الأراضي اللبنانية، وأوضح أسباب تشكله قائلاً (إن السفوح الحادة للأودية الكبيرة تظهر بازلتاً جوراسياً محقوناً في العديد من الفوالق التي تحكمت في مورفولوجية لبنان الحالية. فهذه الفوالق تصعد إلى نهاية الجوراسي، أي إلى الكميردجيان الأدنى تقريباً) [5].

إن المعطيات السابقة تؤكد على وجود عمليات بركنة كانت قد حدثت في المناطق الجنوبية من قاع الحوض البحري العميق الذي كان يشغل المناطق الغربية من بلاد الشام خلال فترة الترياسي – جوراسي [7].

أما في المناطق الشمالية من هذا الحوض الجوراسي (سلسلة الجبال الساحلية السورية، الجبل الأقرع، وجبال عفرين) فلم يعثر على أي دليل لحدوث بركنة. حيث أكد دوبرترية أنه لم يعثر في الجبال الساحلية السورية على مستوى بحنس البركاني (ولا على جدار بكفيا)، ولقد فسر دوبرتريه ذلك بأنه من المحتمل أن تنتهي الزمرة الجوراسية هنا في الكميردجيان الأدنى [5]. كما أن الدراسات التي أعقبت ذلك (دوبرتريه، معطي، المسح الجيولوجي للسلسلة الساحلية) لم تشر إلى وجود بركنة مؤكدة في سلسلة الجبال الساحلية خلال الدور الجوراسي. بل كانت هذه الدراسات قد أشارت إلى وجود اندساسات وتدفقات بازلتية نيوجينية تخترق صخور الجوراسي. ولقد تم مؤخراً تحديد العديد من المداخن البركانية النيوجينية التي تخترق صخور الجوراسي مثل المداخن البركانية في الشيحة، وجبل المشتى، وقلعة السودا، وقلع ياسين، ورويسة الشامية، وجبل النواقير، ورأس الحرشة (الدي)، والدوارة [2] [3].

ولكن تبين أثناء قيام الباحث مؤخراً بأحد الجولات الحقلية وجود تكشف لسوية بازلتية محدودة الانتشار ضمن صخور الجوراسي في منطقة وعرة ومعزولة جغرافياً هي منخفض بلعة (شكل 1). وبالعودة إلى الخريطة الجيولوجية للمنطقة (رقعة قلعة الحصن) تبين أن هذه السوية البازلتية غير محددة، وغير مدروسة سابقاً. مما دفع الباحث إلى القيام بدراسة حقلية تفصيلية لهذه السوية البازلتية. وتبين عند التدقيق في الخرائط الجيولوجية أن هناك تكشف أيضاً لسوية بازلتية محدودة الامتداد ضمن صخور الجوراسي، وذلك في منخفض الرصافة على طريق مصياف – وادي العيون (رقعة مصياف الجيولوجية)، ولقد خلصت هذه الدراسات إلى تحديد عمر هذه السوية بأنها

صخور بازلتية نيوجينية [8]. ولكن التشابه في الشكل الجيومورفولوجي بين كلا المنخفضين (بلعة والرصافة)، بالإضافة إلى وقوعهما ضمن تكشفات صخور الجوراسي، وكذلك التشابه بين خصائص البازلت في هاتين السويتين. دفع الباحث إلى التوسع في دراسة السوية البازلتية في منخفض الرصافة ليقدّم معطياتٍ جديدةً عن هذه السوية سوف نوردها في سياق هذا البحث. ونود أن نؤكد أن هذه الدراسة هي دراسة حقلية بحتة، أي إنها لا تتضمن أي تحاليل كيميائية أو دراسة مجهرية لشرائح صخرية.

النتائج والمناقشة

1- دراسة حقلية لسوية البازلت في منخفض بلعة: يقع هذا المنخفض إلى الجنوب الغربي من قرية الجويخات بحوالي 2.5 كم، وإلى الغرب من الفالق الرئيسي للمنطقة الانهدامية السورية بحوالي 3.7 كم. حيث تتكشف في هذه المناطق صخور الجوراسي الكلسية الدولوميتية (شكل 2).

جيومورفولوجياً يبدو منخفض بلعة بشكل منطقة إهليلجية تمتد نحو الجنوب الغربي مسافة حوالي 1 كم، وبعرض حوالي 400 م، وترتفع الحواف المحيطة به والمشرفة عليه حوالي 80 م. ينفتح المنخفض نحو الجهة الجنوبية الغربية بشكل متوافق مع محور امتداده ليخرج منه أحد روافد نهر الأبرش، أما من الجهات الباقية فيكون مغلقاً ويحيط به خط الفاصل المائي (شكل 6).

الشكل رقم 6: صورة جوية توضح منطقة وجود منخفض بلعة داخل صخور الجوراسي الوعرة، كما تشير الخطوط الحمراء إلى أماكن وجود سوية البازلت (Google Erath Pro).

على امتداد الجانب الجنوبي من المنخفض يشاهد تكشف لسوية بازلتية تمتد مسافة حوالي 1 كم، وبسماكة عظمى تصل حوالي 12 م (شكل 6). والبازلت في هذه السوية متفسخ لدرجة كبيرة، ويأخذ أحياناً أشكالَ مواشير مكدسة (شكل 7)، وأحياناً أخرى يكون بأشكال وسائدية متفسخة بشكل قشور متعاقبة (شكل 8)، ويتناقص تأثير التجوية بالانتقال نحو مركز هذه الأشكال الكروية، لدرجة أن مراكزها لا تزال مؤلفة من قطع بازلتية متماسكة صغيرة يتراوح مقاسها بين 5 – 10 سم.

الشكل رقم 7: التكدس الموشوري لقطع البازلت داخل السوية البازلتية.

الشكل رقم 8: الأشكال الكروية الصغيرة المتفسخة من البازلت في مكان آخر من السوية البازلتية، (يتراوح حجمها بين 10 – 20 سم).

يمتاز البازلت في هذه السوية بأنه كتلي، أي بعدم وجود أي آثار أو مظاهر لخروج غازات من اللافا، وكذلك عدم وجود أي بلورات، أو شقوق مملوءة بالكالسيت. ومن الأشياء المهمة والملفتة للنظر هي أن البازلت يكون في كثير من الأحيان مختلطاً مع قطعٍ كلسية وحصى مختلفة الأشكال والأحجام، وهي تشكل في بعض الأحيان حوالي 5 % من جسم الصخر (الشكلين 9، و 10).

الشكل رقم 9: قطع وحصى من الصخور الكلسية موزعة بشكل متفرق داخل السوية البازلتية، حيث يشر وجود القطع الزاوية على أنها بريشيا تكتونية جرفها البازلت معه من الأسفل.

الشكل رقم 10: قطع وحصى من الصخور الكلسية موزعة بشكل متفرق داخل السوية البازلتية (يشير السهم إلى وجود عقدة صوانية).

ومن الجدير بالذكر أن هذه القطع من الصخور الكلسية موجودة بداخل الكتل البازلتية وليس على الحدود الفاصلة بينها، مما يدل على اختلاطها مع الحمم البازلتية السائلة قبل تبردها. وتشير الملاحظات التي توصل إليها البحث أن هذه القطع من الصخور الكلسية هي بريشيا تكتونية كان قد جرفتها الحمم البازلتية معها من الأعماق أثناء حقنها عبر المرايا الفالقية.

الحد السفلي لسوية البازلت غير واضح وهو يندمج مع قاع المنخفض المغطى بالتربة الزراعية ذات المنشأ البركاني غالباً، والمختلطة مع قطع صغيرة من الصخور البازلتية مع بعض الصخور الكلسية الدولوميتية. ويبدو أن الحد السفلي لهذه السوية يتطابق حالياً مع مسار الطريق المتجه نحو مركز المنخفض وذلك في القسم الشرقي منه. كما يغطي سوية البازلت من الأعلى جدار سميك التطبق (حوالي 10 م)، من الصخور الكلسية والكلسية الدولوميتية الجوراسية. ولذلك يبدو هذا الجدار بشكل حافّة بارزة في الطبيعة فوق سوية البازلت (شكل 11).

الشكل رقم 11: صورة للنهاية الشرقية لمنخفض بلعة باتجاه الجنوب توضح سوية البازلت، والجدار الصخري فوقها، والطريق أسفلها.

حدود التماس بين هذا الجدار الصخري القاسي مع سوية البازلت واضحة في بعض الأحيان، ومشوشة في كثير من الأحيان لأنها مغطاة بموادَّ منهالة من الأعلى. ومن الناحية الجيومرفولوجية تشكل سوية البازلت (نظراً إلى قلة تماسكها وتعرضها للتفكك) منطقةً منحدرةً قليلةَ الميلِ تمتد بين الجدار الصخري في الأعلى والطريق في الأسفل (الشكلين 12، و 13).

الشكل رقم 12: سوية البازلت المتفسخ بين الجدار الصخري في الأعلى والطريق في الأسفل.

ومن الأشياء المهمة والجديرة بالملاحظة هي التفاف سوية البازلت تحت الجدار الصخري، وذلك عندما يتراجع الجدار الصخري نحو الجنوب مسافةَ حوالي 120 متراً ليصبح المنفخض متسعاً في قسمه الغربي بالمقارنة مع قسمه الشرقي الأضيق نسبياً (شكل 6). إن التفاف سوية البازلت بهذا الشكل يؤكد توضع الجدار الصخري فوقها، وهذا ما يمكن ملاحظته بشكل واضح في النهاية الغربية لسوية البازلت حيث يبدو الجدار الصخري بارزاً حوالي النصف متر فوق سوية البازلت الموجودة في الأسفل[*].

بالقرب من النهاية الشرقية للمنخفض، وعلى الجانب الشمالي، يُشاهَدُ أيضاً وجود مناطق صغيرة تمثل بقايا السوية البازلتية (شكل 6). وهنا يُشاهَدُ بشكل واضح وجود قطع متفرقة من البازلت (تبدو بشكل قنابل بركانية) موزعة داخل حطام من الصخور الكلسية

[*] قام الباحث باطلاع المرحوم الدكتور ميخائيل معطي على الصور وأبلغه باكتشاف السوية، ولقد أكد له الدكتور ميخائيل أنه يرغب بمشاهدتها، ولكنه توفي بعد أقل من 48 ساعة. لذلك يقترح الباحث تسميتها (سوية الدكتور ميخائيل معطي البازلتية في منخفض بلعة) وذلك تخليداً لما قدمه الأستاذ الدكتور ميخائيل معطي للبحوث العلمية الجيولوجية في سوريا.

القاسية المختلفة الأحجام (شكل 13). ويمكن تفسير ذلك بأن هذه المنطقة تمثل مرآةً فالقية، وأن قطع البازلت تم جرفها من سوية البازلت نتيجة حركة الفالق وخلطها مع الصخور الكلسية الحطامية التي هي في الواقع بريشيا تكتونية. إن حدود تماس هذه الكتل البازلتية مع أطراف قطع البريشيا التكتونية من حولها تدل على دخول المواد البازلتية المصهورة بين قطع البريشيا التكتونية قبل أن تتبرد وتتصلب. وأن عملية حقن المواد البركانية كانت متواقته مع تشكل الفالق.

الشكل رقم 13: قطع من البازلت داخل حطام من الصخور الكلسية الجوراسية (بريشيا تكتونية).

كما يُشاهَدُ في منتصف السوية البازلتية بجانب الطريق كتلة قليلة السماكة بحدود (10 سم)، مؤلفة أيضاً من صخور كلسية محطمة تشبه ما شاهدناه في الشكل السابق، وهذا أيضاً يمثل بقايا المرآة الفالقية وبريشيا التحطم التكتوني الملتصقة بالبازلت (شكل 14)، مما يؤكد وجودَ الفالق هنا. وبناء على ذلك قام الباحث بتحديد وجود فالق على امتداد هذه المنطقة (شكل 15). حيث يعتقد الباحث أن هذا الفالق بالإضافة لشبكة الفوالق المحددة سابقاً على الخريطة الجيولوجية للمنطقة ساهمت بتشكيل مناطق ضعف تم خلالها حقن المواد البازلتية. أما على امتداد الجانب الشمالي من المنخفض فلا تُشاهَدُ السوية البازلتية (شكل 15).

ومن الأشياء الجديرة بالملاحظة أيضاً وجودُ قطع متفرقة ونادرة من الصخور البازلتية المتماسكة والتي يمكن عدها من نواتج البركنة النيوجينية لأنها قاسية وغير

متفسخة، ويشاهد فيها أماكنُ خروج الفقاعات الغازية. ويمكن تفسير وجودها في بعض مناطق المنخفض بأنها منقولة من الصبات البركانية النيوجينية التي تتواجد إلى الشرق من المنخفض.

الشكل رقم 14: كتلة من البريشيا التكتونية المتماسكة ملتصقة مع سوية البازلت بجانب الطريق.

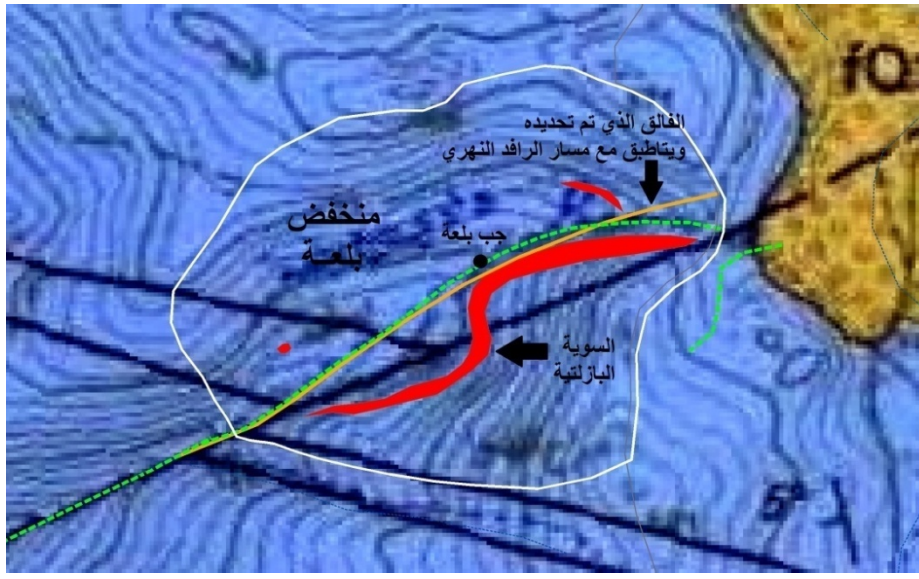

الشكل رقم 15: صورة لقسم من الخريطة الجيولوجية لرقعة قلعة الحصن توضح الفالق الذي حدده الباحث، والذي تدفقت المواد البازلتية من خلاله بالإضافة إلى الفالق شبه الموازي له.

يضيق المنخفض نحو الجنوب الغربي، ويتلاقى سفحاه الشمالي والجنوبي تقريباً، ليبقى خانقاً ضيقاً يجتازه مجرى مائي موسمي يتابع مسيره نحو الغرب ليصب في منطقة سهلية صغيرة (مساحتها حوالي 1 هكتار) تسمى محلياً بستان عياطة (شكل 6). والذي تبين أنه عبارة عن منخفض انحلال كارستي، تغطي قاعه تربة حمراء مشققة. ولا يوجد هنا أثر لسوية البازلت، ولكن تجمعت على سطحه بعض حجارة البازلت الصغيرة التي جرفتها المياه معها من منخفض بلعة. كما يشاهد وجود حفرة ابتلاع كبيرة للمياه في النهاية الغربية لهذا المنخفض الصغير.

حاول الباحث أيضاً تعقبَ وجودِ سويةِ البازلت في المناطق المجاورة لمنخفض بلعة، وذلك في مزارع التفاح الواقعة إلى الشمال والجنوب من المنخفض (ضهر الصوفي، قلع النمر، مراح الهوى). ولكن تبين أن هذه المناطق تحوي الكثير من قطع الصخور البازلتية القاسية، والتي تستخدم في بناء جدران الحقول الزراعية. إن شكل هذه الصخور البازلتية، وتماسكها، ووجود البنية الفراغية فيها يدل على أنها صخور بازلتية نيوجينة، وهي تختلف كثيراً عن صخور البازلت الموجودة في سوية منخفض بلعة الواقع إلى الأسفل منها طبوغرافياً.

2- دراسة حقلية لسوية البازلت في منخفض الرصافة: يقع هذا المنخفض على الطريق الواصلة بين وادي العيون ومصياف، وهو يمتد من الشرق نحو الغرب مسافة حوالي 1500 م، وبعرض حوالي 300 م (شكل 16). ويتشابه هذا المنخفض بشكل كبير مع منخفض بلعة السابق من ناحية شكله الجيومورفولوجي، ووقوعه ضمن صخور الجوراسي، ووجود السوية البازلتية المتفسخة بدرجة كبيرة والتي تحتوي بداخلها على قطعٍ من الصخور الكلسية. ولكنه يختلف عنه بوقوعه على السفح الشرقي لسلسلة الجبال الساحلية؛ حيث تسيل المياه السطحية التي تجري خلاله باتجاه مدينة مصياف.

تتكشف السوية البازلتية على السفوح الشمالية والجنوبية لهذا المنخفض، وذلك اعتباراً من المنعطف الذي يتفرع منه الطريق إلى قرية الرقمة في الغرب (شكل 17)، وتمتد باتجاه الشرق لترتفع على السفح الشمالي لجبل قلعة الشيخ أحمد، حيث تصل سماكتها في هذا الموقع إلى حوالي 30 م. ثم تلتف حول هذا الجبل لترتفع وتختفي على سفوحه الشمالية الشرقية بشكل مفاجئ (شكل 18).

الشكل رقم 16: صورة جوية لمنخفض الرصافة، حيث تشير الخطوط الحمراء إلى أماكن وجود سوية البازلت (Google Erath Pro).

الشكل رقم 17: سوية البازلت المتفسخ بجانب الطريق في النهاية الغربية لمنخفض الرصافة.

الشكل رقم 18: السفح الشمالي الشرقي لجبل قلعة الشيخ أحمد، حيث نشاهد سوية البازلت ترتفع وتختفي بشكل مفاجئ وتغطيها في القمة صخور الجوراسي الرسوبية.

البازلت في مختلف مناطق هذه السوية متفسخ بدرجةٍ كبيرة (أكثر من البازلت في منخفض بلعة)، ويشَاهَدُ في داخله وجود حصى وقطع من الصخور الكلسية المختلفة الأشكال والأحجام أيضاً (شكل 19)، وهي موجودة داخل كتل البازلت المتفسخ وليس على الحدود الفاصلة بينها، مما يدل على امتزاجها مع الحمم البازلتية وهي في الحالة السائلة قبل تبردها (شكل 20). وهي بذلك تتشابه مع السوية الموجودة في منخفض بلعة.

الشكل رقم 19: قطع من الصخور الكلسية موزعة داخل سوية البازلت المتفسخ في منخفض الرصافة.

الشكل رقم 20: وسادة كروية من البازلت المتفسخ وفي داخلها قطع من الصخور الكلسية مما يدل على امتزاج اللافا البازلتية بالحصى قبل تبردها.

كما يؤكد وجود الكتل البازلتية بشكل وسائد متلاصقة دون وجود قطع من الصخور الكلسية على الحدود الفاصلة بينها (الوسائد البازلتية) منشأ هذه السوية البازلتية في المكان نتيجة حدوث اندفاع بركاني محلي (شكل 21). وأنها ليست موادَّ بيروكلاستية منقولة ومعاد توضعها كما جاء في المذكرة الإيضاحية لرقعة مصياف الجيولوجية. لأنها لو كانت مواد بيروكلاستية منقولة فإننا لا نشاهد وجود هذه الوسائد الكروية التي تحوي في داخلها قطعَ الصخورِ الكلسية، كما يجب في حال كونها منقولة ومعاد توضعها أن تشاهد فيها مظاهر التطبق (مثل المواد البيروكلاستية الموجودة إلى الجنوب من بانياس)، وهذا الشيء لا نشاهده في هذه السوية.

الشكل رقم 21: البنية الوسائدية المتفسخة للبازلت في منخفض الرصافة وبداخلها قطع من الحصى الرسوبية مما قد يدل على اندفاع بركاني تحت مائي.

إن ارتفاع السوية البازلتية على السفح الشمالي الشرقي لجبل قلعة الشيخ أحمد ثم انقطاعها بشكل مفاجئ (شكل 18)، وتوافق حدودها السفلى والعليا مع سطوح تطبق صخور الجوراسي يدل أيضاً على تشكل هذه السوية خلال الدور الجوراسي.

ومن الأشياء الجديرة بالذكر أيضاً هو وجود جدار صخري سميك فوق سوية البازلت (مثل الجدار الموجود فوق سوية البازلت في منخفض بلعة)، حيث يبدو هذا الجدار محطماً بشكل كتل صخرية ضخمة في النهاية الشمالية الغربية لمنخفض

الرصافة، وهذه الكتل يمكن أن تنزلق على نواتج تجوية البازلت عند تشبعها بالمياه، وبالتالي فهي تشكل خطراً على المساكن المجاورة في الأسفل (شكل 22).

الشكل رقم 22: الجدار الصخري المحطم بشكل كتلاً ضخمة فوق سوية البازلت في منخفض الرصافة.

إن البازلت الموجود في منطقة صغيرة بعد منخفض الرصافة بحوالي 1 كم باتجاه مصياف (يشير إليها السهم الأسود على الشكل 3)، يمكن اعتباره مدخنة بركانية تخترق صخور الجوراسي، وهي مرتبطة مع حدوث البركنة في منخفض الرصافة القريب منها، وهذا ما يؤكد حدوث البركنة خلال دور الجوراسي في المنطقة.

السوية البازلتية بالقرب من نبع الشغر: من الأشياء التي اكتشف الباحث وجودها ويرى ضرورة لذكرها طالما أن البحث يقدم معطيات جديدة عن البركنة في المنطقة (بالرغم من وقوعها خارج موضوع البحث)، هو وجود سوية بازلتية تتكشف في المناطق القريبة من نبع الشغر الواقع إلى الغرب من قرية جنين (شكل 23). هذه السوية تبدو بشكل طبقة من الصخور البازلتية لونها أسود فحمي (سماكتها حوالي 75 سم)، وذلك بين طبقات أسفل الألبيان الكلسية. ولقد تكشفت السوية البازلتية في هذا المكان بشكل واضح نتيجة الحت المائي لمجرى نبع الشغر، حيث أدى وجودها لتشكل مسقط للمياه بارتفاع حوالي 2 م (شكل 24، A). تتألف هذه السوية من مواشير البازلت المتلاصقة (ظاهرة الاقتطاع العمداني في البازلت). حيث يكون مقطعها غير منتظم الشكل ومختلف المساحة (شكل

24، B). ونظراً لوجود هذا الاقتطاع فإن السوية تتفتت إلى أعمدة موشورية يستخدمها المزارعون في بناء جدران الحقول الزراعية.

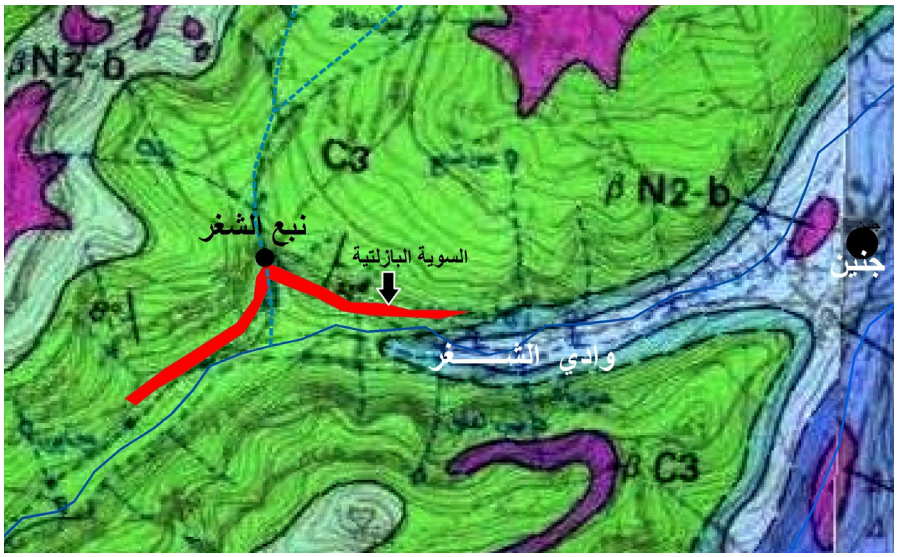

الشكل رقم 23: صورة لقسم من الخريطة الجيولوجية لرقعة صافيتا توضح موقع تكشف سوية البازلت ضمن طبقات الألبيان عند نبع الشغر.

A **B**

الشكل رقم 24: يوضح تكشف سوية البازلت (تحت حقيبة الظهر) ضمن طبقات الألبيان عند نبع الشغر (A)، ومقاطع مواشير البازلت ذات الأشكال غير المنتظمة في سطح هذه السوية (B).

إن التفسير العلمي الذي تمكن الباحث من وضعه لتشكل هذه السوية البازلتية هو أنها عبارة عن سد بازلتي أفقي (Sills) تشكل نتيجة لحقن الماغما البازلتية بين الطبقات الرسوبية. كما أن مواشير البازلت في هذه السوية متماسكة بشدة وغير معرضة للتفكك والفساد مما يشير إلى أنها حديثة التشكل، وبناء على ذلك يرجح الباحث تشكلها نتيجة عمليات البركنة البليوسينية التي حدثت في المنطقة. ويستبعد علاقتها مع البركنة التي

حدثت خلال دور الألبيان وأدت إلى تشكل سوية بازلتية واسعة الامتداد في المناطق المجاورة إلى الشمال (الدريكيش والشيخ بدر). حيث نشاهد سوية بازلت الألبيان في هذه المناطق ونتيجة لعمرها الكبير (حوالي 100 مليون سنة) أنها تصبح متفسخة ومتفككة إلى غضار في أغلب الأحيان، ولم تعد متواجدة بشكل بازلت متماسك وقاسي كما هي عليه الحال في هذه السوية البازلتية. لذلك يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بهذه السوية وإجراء مزيداً من الدراسة عليها.

4- الاستنتاجات والتوصيات:

1- إن البازلت الموجود في منخفضي بلعة والرصافة يعود بعمره إلى عصر الجوراسي الأوسط (؟)، وذلك بدليل الامتداد المحدود للصخور البازلتية بشكل متوافق مع امتداد طبقات صخور الجوراسي، وكذلك درجة التفكك والفساد التي وصل إليها هذا البازلت.

2- ينفرد البازلت الموجود في منخفضي بلعة والرصافة باختلاطه مع حصى وقطع من الصخور الكلسية، الأمر الذي يتميز به عن البازلت النيوجيني في المنطقة حيث لا نلاحظ مثل هذا الامتزاج.

3- إن وجود الحصى وقطع الصخور الكلسية داخل كتل البازلت يدل على حدوث البركنة عبر فوالق محدودة الامتداد، حيث جرفت المهل البازلتية معها من الأسفل البريشيا التكتونية الموجودة على المستويات الفالقية.

4- يؤكد وجود بعض القطع المتفرقة من الصخور البازلتية داخل البريشيا التكتونية في الطرف الشرقي من المنخفض حدوث اندساس البازلت وحقنه عبر المستويات الفالقية.

5- يلاحظ أن البازلت الموجود في كلا المنطقتين هو من النوع الكتلي، ويخلو من وجود البازلت الفراغي مما يؤكد حدوث عملية حقن المصاهير البازلتية عبر الفوالق.

6- إن وجود الحصى الكلسية داخل كتل البازلت في منخفض الرصافة يؤكد امتزاجها مع البازلت السائل، وهذا ينفي أن يكون هذا البازلتُ منقولً ومعاد توضعه (كما جاء في المذكرة الإيضاحية لرقعة مصياف الجيولوجية).

7- وجود المدخنة البركانية إلى الشرق من منخفض الرصافة (يشير إليها السهم على الشكل 3)، يؤكد حدوث البركنة المحلية في المنطقة، وأن السوية البازلتية في منخفض الرصافة غير منقولة ومعاد توضعها.

8- لقد تحكمت الفوالق والبازلت الجوراسي المحقون خلالها بجيومورفولوجية هاتين المنطقتين بشكل مشابه لما كان قد لاحظه دوبرترية في الأودية العميقة في لبنان.

9- نوصي باستمرار القيام بالدراسات المختبرية لسوية البازلتي في هاتين المنطقتين من الناحية البترولوجية، ومقارنة البازلت فيها مع سوية البازلت الموجودة في مقطع عرنة، وفي مستوى بحنس البركاني في لبنان. وكذلك إجراء تحاليل جيوكيميائية وتحديد العمر المطلق للبازلت.

10- نوصي بالاهتمام بسوية البازلت المتكشفة حول نبع الشغر، وإجراء المزيد من الدراسات عليها، ومقارنتها مع البازلت الأوجيتي الأسود الموجود في جبل النبي متى.

المراجع:

[1]. HUSAEN, K. M. 1978 - **Regional Geology of Syria (2)** Damascus University Publication, 452 P. (In Arabic).

[2]. IBRAHIM, S. 2020 - **Defining "volcanic necks" sites by field study In the southern part of Syrian coastal chain**. Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies – Arts and Humanities Series, Vol. (42) No.(6), P 31 – 51 (In Arabic).

[3]. IBRAHIM, S. 2021 - **Geographical Locations of Volcanic Plugs At (Banyass, Qadmous and Messyaf) Map Sheets**. Albaath University Journal – Historical and social sciences series, Vol. (43) No (10), P 11 - 48. (In Arabic).

[4]. GEOLOGICAL MAP OF SYRIA. (Alhosen Castle, and Messyaf sheets), scale $\frac{1}{50.000}$. And Explanatory notes. Damascus: Directorate of geological survey and studies. 1982 - 1994.

[5]. DUPERTRET, L. 1970 - **Geology Syria and Lebanon**. Damascus, Syria: Alnahda Press, 160 P. (In Arabic).

[6]. AL EJEL, F; ABD ALRAHEM, H. 1974 - **Geology of Syria**. First press, Damascus, Syria: Dar Alfiker, 266 P. (In Arabic).

[7]. PONIKAROV, V. **The geology of Syria**. Homs – Trablus Sheet, Scale $\frac{1}{200.000}$, Moscow, V/O Technoexport, 1963.

[8].GEOLOGICAL MAP OF SYRIA. 1984 - **Explanatory notes for Messyaf sheet, scale** $\frac{1}{50.000}$. Damascus, Directorate of geological survey and studies.

[9]. MIKHAIL, M. 1997 – **The Jurassic of the Syrian coastal Chin (Jibal As–Sahilyeh): Synthesis of the biozonation larger Foraminifera.** C.R. Acad. Sc. Paris 325. P 207 – 213.

[10]. IBRAHIM, S. 2017 - **Geomorphological Study of the Karstic Polje in Ein Alshams "North Eastern of Safita"** . Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies – Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5), P 59 – 78. (In Arabic).

[11]. MIKHAIL, M. & ZZNINETTI, L. 1998 – **The Jurassic Hermon Mountain (anti–Libanon, SW Syria)**. Archs Sci, Genève. P 295 – 304.